الطبعة الثانية

بَـوْحُ الذَّاكِرَة

(الجزء الأول)

د. عبد العزيز بن عبد الرحمن الثنيان

مكتبة العبيكان

بوح الذاكرة

«الجزء الأول»

تأليف

د. عبد العزيز بن عبد الرحمن الثنيان

مكتبة العبيكان

الآن منتجاتنا أونلاين

سوق

احدى شركات amazon

يمكنكم الآن الحصول على جميع منتجاتنا من الكتب والقرطاسية في أي مكان في المملكة

العبيكان للتعليم Obeikan Education

obeikanpub
obeikan.reader
obeikanstores

العبيكان للنشر Obeikan Publishing

ⓒ مكتبة العبيكان، ١٤١٩هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الثنيان، عبدالعزيز بن عبدالرحمن

بوح الذاكرة – الرياض.

٢٢٢ص، ١٤ X ٢١ سم

ردمك: ٨-٥٠٨-٢٠-٩٩٦٠ (مجموعة)

X-٥٠٧-٢٠-٩٩٦٠ (ج١)

١- التعليم السعودي أ- العنوان

ديوي ٣٧٠,٩٥٣١ ١٩/١١٠٣

ردمك: ٨-٥٠٨-٢٠-٩٩٦٠ (مجموعة) رقم الإيداع: ١٩/١١٠٣

X-٥٠٧-٢٠-٩٩٦٠ (ج١)

الطبعة الأولى

١٤١٩هـ / ١٩٩٨م

الناشر

مكتبة العبيكان

الرياض ـ العليا ـ تقاطع طريق الملك فهد مع العروبة.

ص.ب: ٦٢٨٠٧ الرياض ١١٥٩٥

هاتف: ٤٦٥٤٤٢٤، فاكس: ٤٦٥٠١٢٩

مكتبة العبيكان
Obeikan
Bookstore

للنشر العبيكان
Obeikan
Publishing

كتابك واصل لعندك

نون noon

سوق
احدى شركات amazon

كتبنا معك بكل مكان

Google Play

amazonkindle

للإستماع لكتبنا الصوتية

دار ضاد للنشر الإلكتروني
Dhad Audio Publishing
WWW.DHAD.SA

Kitab Sawti
www.kitabsawti.com

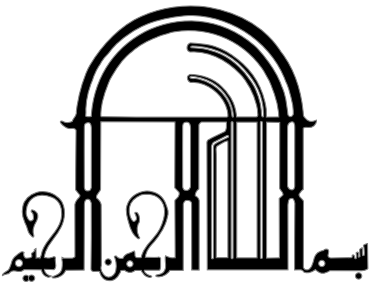
بسم الله الرحمن الرحيم

روَى ابنُ عبدِ ربِّه في
كتَابه (العِقد الفَريد) أنَّه قيلَ
للعتَّابيِّ: هَل تعلمُ أحداً لا عيبَ فيه؟
قالَ: إنَّ الذي لا عيبَ فيه لا يموتُ أبداً.
ولا سبيلَ إلى السلامةِ من ألسنةِ العامَّةِ.
وقالَ العتابيُّ: مَن قَرضَ شعراً أو وضعَ
كتاباً فقَد استهدفَ للخصُوم، واستشرفَ
للألسُن، إلاّ عندَ مَن نظرَ فيه بعَين
العَدل، وحكمَ بغَير الهَوَى،
وقليلٌ مَّا هُم.

كانَ أحدُ النُّسَّاكِ

يَدعُو فيقولُ:

«اللهمَّ صُنْ وجوهَنا باليَسار، ولا تبتذلْها بالإقتَار، فنسترزقَ أهلَ رزقك، ونسألَ شرارَ خَلقك، فَنُبْتَلَى بحَمد مَن أعطَى، وذَمِّ مَن منعَ، وأنت من دُونهمَا وليُّ الإعْطَاء، وبيَدك خزائنُ الأرضِ والسَّماء يا ذَا الجَلال والإكرامِ».

المقدمة

الحمدُ للهِ، والصلاةُ والسلامُ على رسولِ الله، وبعد.

فالذاكرةُ آيةٌ من آيات الله، وسرٌّ من أسرار النفس البشرية التي أمرَنا الخالقُ ـ عزَّ وجلَّ ـ بالتفكُّر والتأمُّلِ في كُنهِها ﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلاَ تُبْصِرُونَ﴾.

إنَّ الذاكرةَ جهازٌ سريعٌ، يستعرضُ الإنسانُ من خلاله الكثيرَ من الأحداث التي مرَّت به، والعديدَ من المواقفِ التي تعرَّضَ لها.

ولقد دوّنتُ إبَّانَ عملي في وزارة المعارف، الكثيرَ من المواقفِ الجديرةِ بالعرضِ، والعديدَ من الأحداثِ الحريَّةِ بالتناولِ.

وقد آنَ لي بعدَ أن تفرَّغتُ من عَناء المسؤوليةِ أن أســـجِّـلَ تلكَ الجـــوانـبَ، وأقطفَ تـلكَ الخـواطرَ، وأرجُـو أن أكونَ كـمَـا قالَ الـشاعـرُ المتنبِّي:

قَطَفَ الرِّجالُ القَوْلَ وَقتَ نبَاتِه

وقَطَفْتَ أنتَ القَوْلَ لَمَّا نَوَّرَا

ولهذا فمـادةُ هذا الكتاب قُطوفٌ من بَساتينِ التَّربيةِ، وذكـرياتٌ من بَوْح الذاكرةِ، وفيضٌ من الأحداثِ التربويَّةِ، وأودُّ أن أكـونَ من القاطِفين للقولِ لـمَّـا نوَّرَا.

إنَّه يستعيدُ صُـوراً من المَيدان، ويعرضُ خبرةً دامَت أكثرَ من رُبع قَرن، ويَحكي مشاهدَ تربويةً

أَرويها للآخَرينَ؛ حيثُ مَرَّ بي في حَياتي الوظيفيَّة مواقفُ تستوجبُ التَّدوينَ، وتجاربُ تقتَضي التسجيلَ. ورأيتُ أهميةَ عَرض تلكَ الأمُور وإنْ كانَ الغائبُ أكثرَ، والمُهملُ أكبرَ، فمعَ زَحمَة العمَل نسيتُ أشياءَ، ومعَ ضَغط المراجعينَ غابَتْ أمورٌ، وإنِّي مُوردٌ في الصَّفحَات القَادمَة بعضَ المواقف التربويَّة، والأمُور الاجتماعيَّة التي ظلَّتْ عالقةً بالذَّاكرةِ، محفوظةً في بعضِ القُصاصاتِ.

وأرجُو أنْ يستفيدَ القارئُ ممَّا يجدُه، وخصوصاً أنَّها واقعيةٌ، عايشتُ أحداثَها، وكنتُ طَرفاً في أغلبِها.

إنَّها كمَا روَى أبُو حيَّان التَّوحيديُّ[١] من أنَّه قيلَ: «تجاربُ المتقدِّمينَ مَرَايَا المتأخِّرينَ، كمَا يُبْصَرُ فيها ما كانَ يُتَبَصَّرُ بهَا فيمَا سيكونُ. وقَد قالَ الشاعرُ:

والدَّهْرُ آخرُه شبْهٌ بأوَّلِه

ناسٌ كَنَاسٍ وأيامٌ كأيَّامِ

وليسَ من حادثَةٍ ماضيَةٍ إلا وهيَ تُعرِّفُكَ الخطأَ والصَّوابَ منهَا؛ لتكونَ على أُهْبَةٍ في أَخْذك وتَرْكك، وإقدَامكَ ونُكُولك وقَبْضك وبَسْطك، وهذَا وإنْ كانَ لا يَقي كُلَّ الوقَايةِ، فإنَّه لا يُلقِي في التَّهْلُكةِ كلَّ الإلقاءِ».

(١) الإمتاع والمؤانسة: ٣/ ١٥٠.

وهَذه المواقفُ تُصوِّرُ الواقعَ التَّعليميَّ، وتَحكي معاناةَ المَسؤول، وتُبرزُ بعضَ المَظاهر الاجتماعيَّة، والأحوالَ السُّلوكيةَ، وتعرضُ بعضَ الأمُور التي لا تخلُو من طُرفَة وتَسليَة، ولَقد تعلَّمتُ من خلالِها أشياءَ كثيرةً، أرجُو أن يستفيدَ منها القارئُ.

وهَذه المواقفُ والصورُ التي أوردتُها جاءتْ في هَذا الكتَاب كحاطبِ ليلٍ، مُتنوعةً في مَواضيعها، مُختلفةً في تَواريخها، وسوفَ تكونُ في أكثرَ من جُزء إن شاءَ اللهُ.

هذَا وباللَّه التوفيقُ

د. عبد العزيز بن عبد الرحمن الثنيان

الرياض١٤١٩هـ / ١٩٩٨م

١- ما هي صلاحياتك؟

تُكتَسبُ الخبرةُ الإداريةُ بالممَارسة والمزَاولة، ويتعلَّمُ الإنسانُ في كلِّ يَوم أمراً جَديداً، ويعرفُ في كلِّ نَهار دَرساً مُفيداً.

وحينَ عُيِّنتُ مُديراً للتَّعليم بالرِّياض وجدتُني فجأةً بينَ أعمَال متعدِّدة، ومعامَلات متنوِّعة.

واكتشفتُ أنَّ إدارةَ التَّعليم صورةٌ مصغَّرةٌ للوَزارة، بَل هيَ أكبرُ من بَعض الوَزارات القائمة؛ ففيهَا عددٌ كبيرٌ من الموظَّفين، وآلافٌ من المعلِّمين، ولَها أمورٌ فنيةٌ، وجوانبُ تربويةٌ، ومجالاتٌ إداريةٌ، ومشاكلُ اجتماعيةٌ، وقضايَا

للطُّلاب، وأُخرَى للمعلِّمين، وهيَ الميدانُ التنفيذيُّ والحقلُ التربويُّ المباشرُ، وهيَ الجهةُ المتعاملةُ معَ الجُمهور، في جانب مُهمٍّ من حياتهم الاجتماعيةِ، فلا أغلَى عندَ النَّاس من أبنَائهم.

وتتولَّى وزارةُ المعَارف الإشرافَ والتَّوجيهَ، والمتابعةَ والمراقبةَ، وتقومُ إمارةُ المَنطقة بالمُساهَمة في تَيسير الأمُور التَّعليميَّة، ودَعْم مُدير التَّعليم ومُساعَدته في تَنفيذ البَرَامج التربويَّة، ومعالجَة المشاكلِ التي قد تعترضُه.

وفي الأسْبوع الأوَّل من مُبَاشَرة العَمل ـ وكانَ في شَهر المحرَّم من سنةَ ألف وأَربَعمائَة

وواَحد من الهجْرة، أيْ قبلَ تسْعةَ عشرَ عاماً من الآنَ ـ وجدتُ بينَ المعـامَلات قضيـةَ معلِّم دائرَةً بين إمـارة مَنطقَـة الرِّياض وإدَارة التَّـعليم، ومعَ تلكَ المُعـامَلة مـذكِّـرةٌ صـغـيرةٌ من المُـستَـشـار القــانونيِّ في إدارَة التَّـعـليم ـ وكـانَ مــصـريَّ الجنسيَّة ـ يذكـرُ فيها أنَّ صاحـبَ السموِّ الملكيِّ، أميرَ منطقَة الرِّياض سلمانَ بنَ عَبد العَزيز، وجَّهَ باتِّخَاذ إجـرَاء إداريٍّ حولَ تلكَ المعـامَلة. ويرَى ذلكَ المستشارُ أنْ تَسألَ إدارةُ التَّعليم سموَّ الأَمير كيفَ وجَّه بذلكَ الإجرَاء؟ ومـا هيَ صلاحياتُه؟ ومَن فوَّضَـه؟ وقَد وافـقْتُ المستشـارَ علَى رَأيه، ووجَّـهتُ بأنْ يُكتبَ خطابٌ لصَـاحب السـمـوِّ الملكيِّ نسألُه عَن صلاحيَّاته، ومَن فوَّضَه؟

وقَـد أرسـلْنا الخطابَ، وكـانَ فيـه جُـرأةٌ وعجلةٌ. وإنِّـي لأعجَبُ كيفَ أخطأتُ؟ ولـكنَّها الحياةُ، مدرسةٌ وتجاربُ.

وبعـدَ أنْ صـدرَ الخطابُ فكَّرتُ فـي الأمْـر وندمْتُ علَى تـسـرُّعي، وعـجـبتُ من جُـرأتي، وترقَّبتُ أنْ يرِدَ عتابٌ، وأنْ يصلَ تأنيبٌ.

ومضتْ أيامٌ وجيزةٌ وإذَا بي أجدُ بينَ الأوراَق جواباً من سموِّه، فيه رقَّةٌ وعظَمةٌ، ويحملُ درساً في التعامُل والـتَّوجيه. وكانَ الجـوابُ أنَّ سُموَّه اتَّخذ هَذا الإجراءَ بحُكم الولايَة العامةِ.

وقَد ظلَّ هذَا الموقفَ باقياً في الذِّهن، حَاضراً بالذَّاكرة؛ فقَـد كانَ الواجبُ أنْ يكونَ هذَا الأمرُ

مـــعلومًـــا لدَينا، وإن كـــانَ لا بدَّ من السُّـــؤال فللسـؤالِ صيـاغـةٌ أُخرَى، ولكلِّ مـقـامٍ مقـالٌ، ولكنَّها الحَياةُ خبرةٌ ومعارفُ.

العبيكان للاستثمار
Investment Group

إحدى شركات

العبيكان للنشر
Publishing

أحدث الإصدارات

Follow Us
obeikn reader
obeikanpub

كتبنا الصوتية
storytel
Kitab Sawti
www.kitabsawti.com
دار هداد للنشر الإلكتروني
Dhad Audio Publishing
WWW.DHAD.SA

كتبنا الإلكترونية
Google Play
amazon kindle

لخدمات البيع والتوصيل
سوق
أحدى شركات amazon
رواق
noon
نون

٢- التَّغريب

الأمانةَ، الأمانةَ.

عرضَها الخالقُ ـ عزَّ وجلَّ ـ علَى السَّمَوَات والأَرض فأَبَيْنَ أنْ يَحملْنَها، وأشفَقْنَ منها، وحملَها الإنسانُ؛ إنه كانَ ظَلُوماً جَهُولاً.

والعقولَ، العقولَ؛ إنَّها أغلى الأمانات، وأعزُّ البضاعاتِ. كيفَ يرعاها المعلمون؟

سَألتُ خَبيراً فرنسياً، زارَ وزارةَ المعارف في سنة خلَت، عن الامتيازات التي تمنحُها فرنسَا للمعلِّمينَ، فقالَ ذلكَ الخبيرُ ـ بكلِّ فَخر واعتزاز: لقد منحَتْ حكومةُ فرنسا المعلِّمينَ

حقَّ الامـتيـازِ العـقليِّ، وهذَا أغلـى وسِـامٍ، وأشرفُ تاجٍ.

وإني أتسـاءَلُ: هل يا تُرَى يرعَى المعـلِّمـون هذا الامـتـيـازَ؟ وهل يحـفظُ المـدرسـون هذه الأمانةَ؟

يَقـيني أنَّ الكثيـرَ منهم يستـشعـرُ هذا الهمَّ، ويَعي هذه المسؤوليةَ، ويقدرُ هذهِ الأمانةَ.

وأجـزمُ أنَّهم يلـومُـونَ المسـؤولينَ في وزارة المعـارف والقـيـاديِّين في إدارات الـتَّـعليم حينَ يسـمَـعُـون بذلك المعلِّم الـذي يحـضـرُ إلى المدرسـةِ، ويدخـلُ الفـصلَ، ويغلقُ الـبـابَ، ثُم

يُغطِّي وجهَه بالغترةِ وينامُ.

وكأنِّي بهم يقولُون: ويلٌ لكم؛ لِم تتركونَ هذا الفاشلَ معَ فلَذات الأكباد؟! وكيفَ تأمَنون هذا السارقَ، سارقَ الزمنِ على تلكَ العقولِ؟!

ولِم لا تحاسبون هذا المقصِّرَ؟ إنَّه لا مكانَ لَه بينَنا معشرَ المعلِّمينَ. أبعِدوه، ازجُروه، حوِّلوه.

ولقَد فعلْنا؛ فمثلُ هذا الرجلِ لا موقعَ له في المدارس، وعيبٌ أن يكونَ معَ التربويِّين؛ فلَم يَرْعَ الأمانةَ، ولَم يَصُنِ الرسالةَ، ولَم يُقدِّر الثروةَ، ولَم يَحفَظِ النعمةَ.

وأحمَدُ اللهَ أنَّ هَذه من الحالاتِ النادرة، ولكنْ يجبُ على العاملين في المَيْدان أن

يتماسَكوا، وأن يتعاوَنوا لإصلاحِ الخَلَلِ، ونَفْيِ الخَبَثِ.

إن السفينةَ بركَّابها، والمدرسةُ برجالِها، والتعليمُ بالقائمينَ عَلَيه.

وإنَّه متَى ما شعرَ المقصِّرُ أنَّ مديرَ المدرسة يراقبُه، وأنَّ زميلَه المعلِّمَ الآخَرَ يحاسبُه، وأنَّ الطالبَ يُقوِّمُه، وأنَّ البيتَ يتابعُه، وأنَّ المشرفَ التربويَّ يزورُه فإنَّه لا شكَّ يستقيمُ ويَستيقظُ، أو يتحوَّلُ ويبتعدُ.

وأذكرُ أنَّه في الشهرِ الثانِي من العامِ الدراسيِّ ١٤٠٣هـ زارَني مديرُ مدرسة (ع،م) الابتدائِية الواقعِة في حيِّ ابنِ دايل بجنُوب

مدينةِ الرياضِ.

وكانَت المدرسةُ تشغَلُ مبنى مستأجَراً في ذلكَ الوقت، واشتكَى من أحَد المدرِّسين، وذكرَ أنَّه يتأخَّرُ كَثيراً، ويغيبُ في بَعض الأيامِ. وعرضَ بعضَ المحاضِرِ التي تُؤكِّدُ قولَه.

وكلَّفتُ التوجيهَ التربويَّ بدراسة الأمرِ وزيارةِ المدرسةِ وإعدادِ تقريرٍ عَن المذكورِ.

وقامَ الموجِّهون بتَقويم ذلكَ المعلِّم، واتَّفَقوا معَ مُديرِ المدرسةِ في رأيِه، ولكنَّهم ذكَرُوا أنَّ الرجلَ متمكِّنٌ من مادَّتِه، قويٌّ في أدائِه، لكنَّ العيبَ في تأخُّرِه وغيابِه.

واقترحُوا حسمَ الغياب عَلَيه، ولفْتَ نظرِه والحزمَ معَه. ووافَقْتُهم علَى ذلكَ، وطلبتُ منهم أن يُستدعَى في إدارة التَّعليم بحضُور مدير المدرسة، وأن يؤخَذَ عليه التعهُّدُ بالالتزام والنظام، وأنْ يفهمَ أنه تم تكليف لجنة بمراقبته ومتابعته.

وهاتفتُ رئيسَ التَّوجيه التربويِّ، وطلبتُ منهُ أن يتمَّ هذَا التعهُّدُ في مكتبِه.

وبعدَ شَهرٍ أخبرَني مديرُ المدرسةِ أنَّ المعلمَ علَى طَبعه لَم يتغيَّرْ، فطَلَبتُ منهُ الحُضورَ إلى مكتَبي معَ ذلكَ المعلِّم، وكلَّفتُ مديرَ مَكتَبي أن

يهاتفَ ذلكَ المعلمَ، ويؤكدَ عَليه الحضورَ لإدارةِ التَّعليمِ لمقابَلَتي.

وحينَ زارَني نصحتُه ورجوتُه، وخوَّفْتُه وحذَّرتُه، وقَد أبدَى أسفَه، وطلبَ أن نمنحَه مهلةً، وأن نتجاوزَ عَن هفوتِه.

واستجبتُ لطَلبه، بعدَ أنْ كتبَ تعهُّدًا بالانضباطِ والالتزامِ، وقلتُ لَه:

مَنْ زعيمُكَ؟

قالَ: لَم أفهمْ ماذَا تُريدُ.

قلتُ: ألَم تقرأ قولَه تعالَى في سُورَة يوسف علَيه السَّلام: ﴿قَالُوا نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ وَلِمَن

جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ﴾. أريدُ زعيماً يضمنُك ويكفلُك.

قالَ المديرُ: أنَا كفيلٌ لَه هَذه المرةَ.

قُلتُ: لا مانعَ. ولكن اعلَمْ أنَّني سوفَ أُتابعُك شَخصياً، وسوفَ أزُورُ المدرسةَ بينَ الحينِ والآخَرِ لمراقبتِك.

وخرجَ الرجُلان، ولكنْ بعدَ مدَّة جاءَني مديرُ المدرسَةِ، وأخبرَنِي أنَّ المعلمَ المذكورَ عادَ لطبعِه وتأخُّرِه.

وعندَ ذلكَ أصدَرْنا في إدارَة التَّعليم قراراً

بنَقله إلى أبعَد مدرسة تابعَة للإدارة، وكانَتْ مدرسةً صحراويةً، طريقُها غيرُ معبَّد، وتبعدُ أكثرَ من مائتَيْ كم عَن مدينةِ الرياضِ.

وكُنَّا نرجُو أن لا يستجيبَ للنَّقل، وأن ينقطعَ مدةَ خمسةَ عشرَ يَوماً ونفصله؛ فالنظامُ في ذلك الوقت لايسمحُ بالفَصل إلا إذَا غابَ الموظفُ خمسةَ عشرَ يوماً متصلةً.

وقَد أحسنَت الوزارةُ صُنعاً حينَ طالبَتْ بفَصل المعلِّم إذا غابَ أثناءَ العام الدراسيِّ خمسةَ عشرَ يوماً متصلةً، أو ثلاثين يوماً منفصلة؛ ففي هَذا القرارِ علاجٌ لأولئكَ المقصِّرينَ. وأحمَدُ اللهَ أنَّ الموافقةَ الساميةَ

صدرَتْ باعتمادِ هذَا القـرارِ الذي يجري تطبيقُه حالياً.

المهمُّ أنَّ ذلكَ المـعلمَ وصلَه القـرارُ، وعـلَيـه التنفـيذُ فَـوراً، وجاءَ للمـراجَعَة ولَـم أستقـبلْه. وأفـهـمَه مـديرُ المدرسَـة والموجِّـهـونَ أنَّ عليـه المباشرةَ في المدرسةِ الجديدةِ.

ورفضَ الرجلُ، وجـاءَ بالخطـابات من هذَا وذاكَ، وتوالَت الشـفـاعـاتُ والوسـاطاتُ فلم نستجبْ.

ثُم تَلا ذلك وفـودٌ إثرَ وُفُـود من وَجَـهَـاء المجتَمَـع، وكلُّهم يَرجُونَ منحَه فُرصـةً ويطلبونَ

إعطاءَه مُهلةً فأفهَمتُهم مَا علَيه، وماذا عملْنَا معَه، ورجَوتُهم ألاّ يُحرجونا في هذَا الأمرِ.

ثُم جاءَ أقرباءُ المَذكور، وإخوةٌ لَه وطلبُوا تعديلَ القرَار لمَدرسة أُخرَى داخلَ المدينة وألحُّوا، فوضَّحتُ لَهم موقفَ الإدارَة، وأنَّها تراخَتْ معَ المَذكُور، وسوَّفتُ في المعالجَة. ومَا ذنبُ أولئكَ الطُّلاب؟ فهُم أمانةٌ، ولَم يرعَ حقَّهم، ولَم يحفَظْ واجبَهم.

إن الطلابَ صامتون، وهذَا المعلمُ يجادلُ، والطلابُ لا أحدَ يُحامي لَهم، ولا فردَ يتوسَّطُ لحقُوقِهم، وهذا الرجلُ جاءتْنا الشفاعاتُ

والوساطاتُ فيه. وأظهرتُ لهم الحزمَ والجدَّ والإباءَ والرفضَ.

ومضَتْ عشرةُ أيَّام والرجلُ يتردد، وكلَّما يئسَ من هذا جاءَ بذاك، وكلَّما صرفْنا هذا أحضرَ ذاك.

وضاقَتْ بي الحالُ، وسئمتُ من كثرة الزوَّار، وعجبتُ كيفَ تعاطفَ هؤلاء القومُ معَ هذا المقصِّر! أهُو قويُّ الحُجَّة؟! وهل هو فصيحُ العبارة؟! وكيفَ رانَ على أولئكَ قصورُه ولَم يسألُوه ويحاسبُوه؟

وفُوجِئتُ في اليومِ الثالثَ عشرَ بالمعلِّم

المذكور يكتبُ رسالةً، ويأتي بها قريبٌ له كبيرٌ في السنِّ، وعليه سِيما الصلاحِ والوَقارِ.

وقبلَ أن يُناولَني الرسالةَ خوَّفَني الرجلُ باللَّه، ثم صارَ يبتهلُ إلى اللَّه، ويُحذِّرُني من الظلمِ، وأنَّ في إجرائِنا خشونةً وقسوةً، وتسلُّطاً وفظاظةً.

وقلتُ له: علَى رسلِك؛ لَم نظلمْه، ولَم نخذُلْه، وهُو البادئُ، وهو المقصرُ، لَم يحفظِ الرسالةَ، ولم يرعَ الأمانةَ.

قالَ الرجلُ: مهْما يكنْ من أمرٍ عليكُم بالصبرِ والحِلم.

قلتُ: لا بدَّ من تَنفيذ القَرار، ونَحنُ ننتظرُ إكمالَه الخمسةَ عشرَ يوماً لنفصلَه.

ثُم قالَ: أرجُو أن تسمحَ لذلكَ المعلم بالحضورِ، فهو يجلسُ معَ المراجعينَ. فأذنتُ لَه.

وسلَّمني الرجلُ الرسالةَ المكتوبةَ التي يحملُها، وحينَ قرأتُها عرَفتُ أنَّ المعلمَ المقصودَ يخوِّفُني بالله، ويذكِّرُني بالظُّلم وعواقبه، وقُلتُ لهما: لا بدَّ من المباشَرة، وسوفَ أكلِّفُ الموجِّهينَ بالتناوُب علَى زيارَة تلكَ المدرسة، وسوفَ أتابعُكَ يا محمدُ ـ وهو اسمُ ذلك المعلمِ ـ شخصياً.

واستدارَ الرجلان، وخرجَا وهما يرفعان الصوتَ بالدُّعاء عليَّ، ويُريدان أن أسمعَ، وقَد قلتُ في نَفسي: إنَّ الدعاءَ على قَدْر المَظْلمة، وإنَّ الظلمَ هو في بقائِك وعدمِ محاسبتِك.

واستدعيتُ مديرَ المدرسة المنقولِ إليها، وأفهمتُه بوَضع هذا المعلِّم، وشاركته في وَضع جدولَه في تلك المدرسة، وطلبتُ من المديرِ إبلاغي أولاً بأولٍ عن دوامِه وأدائِه.

ولَّما يئسَ، وعرفَ الجدَّ باشرَ في اليَوم الرابعَ عشرَ، وانقطَعَتْ أخبارُه، وبعدَ شَهر زارَني مديرُ المدرسةِ الجديدةِ. وأخبرَني أن الرجلَ منضبطٌ

وأنه ملتـزمٌ. وانتـهَى العـامُ الدراسيُّ، ووصلَني تَقـريـران من مـوجِّـهَـين مـختـلـفَين زارَا تلك المدرسـةَ، وأشـــادَا بذلك المعلِّم، وحُـــسنِ أدائِه وانضباطِه، فحمدتُ اللهَ علَى ذلكَ.

وبدأَ العامُ الدراسيُّ الثَّاني، ولَم يراجعْ، ولَم يتـقـدَّمْ بطلبٍ للنقلِ، ورغبَ في تلك الهـجـرةِ النائيةِ، وسرَّني ذلكَ.

وحينَ انتـــهَى العـامُ الثـــاني، وفي ذَات يَوم وبعدَ صَلاة الظُّهر، إذا بي أجدُ ذلكَ المعلمَ ومعَه صـاحبُـه الذي خوَّفَنا، ودعَـا علينا، أراهُمـا معَ المراجعينَ، وعـرفتُ أنَّهمـا يرغبانِ المقـابلةَ على

انفـراد. وبعدَ انتـهـاء أصحـابِ الحـاجاتِ قـامَ الرجلانِ، وأسـرعَا يقبِّـلان رأسي، ويدعُوَانِ لي بالصحَّـة والعافية، ويطلُـبان منِّي السماحَ لهـما على تطاوُلِهما وتجاوُزِهما في القولِ والعتابِ.

قلتُ لهما: وما الحكايةُ؟!

قالَ الصـاحبُ: نحمدُ اللهَ أنَّ المعلمَ محـمداً بقي في الهجـرة عامين وقد نال إعـجاب أهالي القرية وحصل على تقارير ممتازة.

ثم قـالَ المعلمُ: لقَـد كنتُ ضـوءً في تلك الهـجرةِ، وشـعرتُ بقـيمَـتي وقَدري، وعـرفتُ واجباتي وتفريطِي.

ثم قالَ: إنِّي أصدُقُك القولَ، لقد كنتُ في مدرستي الأولَى بحي بن دايل أتأخَّرُ كَثيراً، والسببُ هو سَهري معَ رفاقٍ يسهرونَ، وأصحابٍ كادُوا يضيعونَ وظيفَتي ويشتِّتُون أسرتي.

ولَمَّا ذهبتُ إلى تلك القريةِ صحبَتْني الزوجةُ والأطفالُ، وصرتُ إمَّا في المدرسةِ أو معَ أسرتي، وابتعدتُ عن أولئك الرفاقِ الذينَ كانوا السببَ فيما حصلَ.

قلتُ: الحمدُ للَّه. وإنْ رغبتَ النقلَ فاختَرْ أيةَ مدرسةٍ بحاجةٍ إلى معلِّمٍ في مدينةِ الرياضِ

وسوَف نلبِّي رغبتَك، ونستجيبُ لطلبِك شريطةَ أن لا تعودَ لأولئك المعشرِ.

ثُم قلتُ لَه: لقَد غرَّبناكَ وأبعدناكَ، فكانَ في ذلك صلاحٌ لك وتقـويمٌ. وقَد وردَ في الإسلامِ التـغـريبُ والحكمُ به في بعضِ الحـالات، وقـد جرَى نقلُه إلَى المدرسـةِ التي اختـارَها في مدينةِ الرياضِ. وأسألُ اللهَ لَه التوفيقَ.

٣- جَوْلات مَدرَسيَّة

مَـا أجـملَ الميـدانَ! ومَـا أبهَى الصـورَ التي يراهَا المسـؤولُ وهُوَ يتـجـولُ بـينَ مُـخْـتَلف المدارسِ، سَواءً في وطنِه، أو حتَّى خارجَه!

إنَّ الزائرَ يشـاهدُ المُنـتجَ وهو يُعَـدُّ، ويُبـصـرُ صُنَّاعَ الغَد وهُم يُؤدُّونَ أشرفَ الرسائلِ وأنبلَها.

آه! مـا أعزَّكُم مـعـشرَ المعـلمينَ! وما أكـرمَ رسالتَكم زُملائِي المربِّينَ!

ولقَد سعـدتُ أثناءَ عَملي في وَزارَة المعَارف بزيَارات ميـدانيَّة لعدَد من المدارس في مُـختلِف مناطقِ المملكـةِ، وفي مدارسَ أخـرَى مـصـريةٍ،

وأَردنية، وكويتية، وإماراتية، وبحرينية، ويابانية، وإنجليزية، وفرنسية، وأسبانية.

وكَم كنتُ سعيداً بتلك الجَولات، حيث رأيتُ أنواعاً مختلفةً، وأجناسًا متعددةً!

ولقد أيقنتُ أن التعليمَ كُلٌّ مُتماسكٌ، وأجزاءٌ مترابطةٌ، ولا يمكنُ العنايةُ بهذَا الجزء وتَرْك ذاك، إنه كجسم الإنسان ينمو بتكامُل، فلا تنمو رِجلٌ دونَ أخرى، ولا تكبرُ هذه الأذُنُ وتبقى الثانيةُ، ولا تتَّسعُ هذه العينُ وتتأخرُ أختُها.

وذلكم التعليمُ كي يتطوَّرَ وينمو نُمواً

طبيعياً، لا بد من العناية بالمبنَى، والمعلِّم، والكِتاب، والمكتبة، والوسيلة، والمختَبَر، والملعب، والمسرح، وسائرِ المقوِّماتِ التعليميةِ.

يقولُ الرئيسُ (بوش) في تقرير استراتيجية أمريكا التربوية لعام ٢٠٠٠م: إن (فاتورةَ) التعليم ارتفعَتْ في أمريكا من عام ١٩٨١م إلى عام ١٩٩١م بنسبة ٣٣٪، ولم يرتفع الجانبُ الكيفيُّ، وتساءَلَ عَن الأسبَاب: لماذَا؟ وكيفَ؟ وعجبَ كيفَ تفوَّقَ الطلابُ الألمانُ واليابانيون على الأمريكيين في اختباراتِ الرياضياتِ والعلومِ؟

وكانَ جوابُ بعض المحلِّلين والتربويين،

أنَّهم في أمـريكَا اعـتنَوا بجُـزء وتركُوا أجـزاءَ، اهتمُّوا بالمباني والتجهيزات، وتركُوا المعلمَ الذي هوَ رأسُ العمليةِ التعليميةِ.

إنَّه في زياراتِنـا لمخـتلفِ المدارسِ العـالميـةِ، رأينا صـوراً جمـيلةً متنوعـةً، ومشـاهدَ عظيمـةً متعـدِّدةً، ولقد وَددنا أن تكونَ في بلادِنا العزيزةِ أمثالُ تلك النماذجِ.

ففي بريـطانيا نهضـةٌ تعليمـيةٌ قادمـةٌ، لديهم عنايةٌ بكلِّ الأجزاء، بالمعلِّم، والمقرَّر، والوَسائلِ، والمكتبةِ، والمُختَبَرِ، وتقويمِ العمليةِ التعليميةِ.

حتَّى أن هذا التقـويمَ أسَّسوا له هيئـةً كُبرى،

وعرَفنا أن فيها أكثرَ من ٦٠٠ موظف، وأنَّها مرتبطةٌ بالبرلمان، وتقومُ بزيَارات ميدانية للمدارس، وتُقوِّمُ نشاطَ المدارسِ، وتُقدِّمُ تقاريرَها الواحدَ إثرَ الآخَرِ.

وعرَفنا أنهم يختبرون المعلِّمين اختبارات دوريَّة، ويدفعُونهم إلى المَزيد من البرامج التدريبية والقراءات العلمية والتربوية، وشاهَدْنا أثرَ ذلك في تلك المدارس التي زُرْناها؛ ووجَدْنا الطالبَ يناقشُ زميلَه في هَذا المَوضوع، والآخرَ يقرأُ مع جارِه تلك القصةَ، والمعلِّمُ بينَهم يُوجِّهُ ويُساعدُ.

وأبصَرنَا التعليمَ وهُو يُؤدَّى بصورةٍ جماعيةٍ،

وبحَالة مُتفاعلة بينَ الطلاب أنفسهم، ومعَ أساتذتهم، ورأيْنا فصولاً دُمجت، وفيها أكثرُ من معلم، والطلاب على شَكْل مجموعات متحلِّقة، يتناقشون، ويتحاوَرون، والمعلم يتجولُ بينَهم، ويوجِّهُ هذا، ويساعدُ ذاك.

وفي اليابان شاهدْنا الطلابَ والمعلِّمين وما بينَهم من وُدٍّ واحترامٍ وتقديرٍ وانسجامٍ.

إن المعلِّمَ هُناك يرعَى طلابَه رعايةَ المُزارع لشجرته، والأب لابنه، فقطفُوا ثِمارَ الجهدِ، وجنَوا أزاهيرَ الغَرسِ.

وفي الفُصول وجدنْا الوسائلَ التعليميةَ

والكتبَ المساندةَ، وحتى المناشِف التي يُنظِّفُ بهَا الطُّلابُ الفصولَ والممراتِ.

وعجبْنا من أولئكَ المعلِّمينَ، وكيفَ كانُوا قدوةً لطلابهم، ينظفون معَهم، ويأكلون بينَهم، ويلعبونَ مع هذا وذاك!

إنه أداءٌ بانسجامٍ، وعَطاءٌ بإخلاصٍ، وتربيةٌ واحترامٌ، وتكاملٌ واهتمامٌ.

وكَم سرَّتْنا تلك المراكزُ التدريبيةُ التي رأيْنَاها في اليابان؛ فقد كانَت صورةً للمدارس وما فيها من تجهيزات أذهلتْنا، إن فيها أدواتِ نجارة، ومعاملَ حدادةٍ، وأجهزةَ تَقنيةٍ، ومختبراتٍ

للعلوم، وورشاً للميكانيكا، وأخرى للإلكترونيات.

ويلزمُ على كل معلِّم أن يأتيَ ليتدرَّبَ بصفة دورية، فلا يغيبُ عن هذه المراكزِ أكثرَ من خمسِ سنواتٍ.

إنهم أنفقوا على التعليم، وأيقنوا بجَدْواه، وبذلُوا في التربية، وجزموا بنتائجِها، وصنعوا شعباً، صارَ ثروةً تبزُّ الثرواتِ، وتسبقُ الكنوزَ، وتهزأُ بالبنوكِ.

إن التعليمَ استثمارٌ، ولكنه بطيءُ الأجَل، وهُو كالنخلة، يجب لها الصبرُ واليُسْرُ، وإذا

أعطتْ صارت كلَّ عامٍ تقدِّمُ رُطباً جَنِيّا، ولكنها تريدُ مزارعاً، وماءً، وأسمدةً، ورعايةً مستمرةً.

وإنَّ في الميدان صوراً يجبُ الإشادةُ بها، ويلزمُ معرفتُها، وعن طريقِ التقويمِ والزِّياراتِ نعرفُهم، وننقلُ تجاربَهم، ونشجِّعُ إبداعَهم، ونطوِّرُ أداءَهم.

قالُوا لنا في اليابان: إننا نبحثُ عن أمهَر المعلِّمين، فنجعلُه أستاذاً في مراكزِ التدريبِ يعرضُ خبرتَه، ويدرِّبُ زملاءَه.

ولقَد تذكرتُ ذلك المعلمَ الذي وجدتُه في إحدَى المدارس، وتمنَّيتُ أن يكونَ أستاذاً في

المراكـزِ التـدريبـيةِ، الـتي أتمنَّى أن أراها في كلِّ مدينةٍ من وطني العزيزِ.

ذلك المعـلمَ الذي دخلَ الفـــصلَ، ووجــدَ صورةً كُـبْرى لأنفـه قد رسـمَها أحـدُ الطلاب، وكانتْ صـورةً مضحكةً، وخصـوصاً أنَّ المعلمَ كـبـيـرُ الأنفِ، وقـد انتظرَ الطلابُ، أسـتـاذَهم بفارغِ الصبرِ، وترقبَّوا غضبَه وانزعاجَه.

ولكن المعـلمَ حينَ دخلَ الفــصلَ، وشــاهدَ الصـورةَ ابتسمَ وقـالَ: إنني أُهنِّئُ الطالبَ الذي رسمَ أنفي، إنَّه مـوهوبٌ، وله مستـقبلٌ ليـصبحَ رسـامـاً (للـكاريكاتيـر) في إحــدى الصـحفِ المشهورةِ.

لقد كانَ المعلمُ ناضجاً حليماً، ومربِّياً حصيفاً، تقبلَ مزحَ الطلاب، وعبَثَهم، ولَم ينتصرْ لذاته، ولَم يبحثْ عَن الطَّالب، بَل شجَّعَه، وأشادَ برَسمِه، وأحسبُه قد ربَّاه بهذه المعاملةِ اللطيفةِ.

إن البحوثَ المستمرةَ، والدراسات المتواصلةَ تُعزِّفُنا بهذا المعلم، وتجعلُنا نُقوِّمُ هذا المنهجَ وذلك المربِّيَ.

وإنِّي أعجبُ حينَ أرَى شركةَ (يالوباك) النرويجيةَ المتخصصةَ في مجال التغليف والتعليبِ تُخصصُ من دخلِها السنويِّ أكثرَ من خمسة وعشرين مليون دولار، للبحث

والتطوير. في حين أسمعُ مَن يقولُ: ما لَكم وللبحثِ؟! وما هي جَدْواه؟!

بل أقفُ احتراماً لتلك المراكز البحثيَّة التي وجدْناها في تلك الدُّول المتقدِّمة، ويكفي أن نعلمَ أن اليابانَ فرَّغَتْ للبحثِ العلميِّ وحدَه أكثرَ من ثمانمائةِ ألفِ موظفٍ.

هذه ذكرياتٌ أبوحُ بها.. لك أخي القارئ لعلك تستفيدُ منها ذاتَ يومٍ.

٤- وَفْد نَجْران

خـرجتُ من مكتَـبي في وَزارَة المَعـارف إلى صَالة استقبَال المُراجعينَ في يَوم من الأيَّام، وفي تلكَ الصَّـالة وجدتُ مجـموعةً مـن المُراجعينَ، وبينَهم أبٌ مَعَه أربعةٌ من أبنَائه الصِّغار؛ هَذا في الصَّفِّ الـثَّـالث الابتـدائيِّ، وذاكَ فـي الصَّفِّ الخَـامس الابتـدائيِّ، والثَّـالثُ في الصَّفِّ الأوَّلِ المتوسِّط، والرابعُ في الأوَّل الثانويِّ.

وتحـدَّثَ الأبُ بكَلام بَليغ، وقـالَ حَـديثـاً فصيحاً، شكَا فيـه مدرسةَ ابْنه الأكبَر، ولامَ مُديرَ المدرَسـة والمعلِّمين، وأنَّهم كادُوا لابْنه، وعنَّـفوا ولدَه، وجرحُوا مُهجتَـه، وأنَّه راجعَهم فزجَرُوه،

ورجَاهـم فنهَرُوه، ورمَـوا لَه ملفَّ ابْنه، وتوسَّلَ إلَيهم، ولكنَّهم أصرُّوا إلاّ أنْ يغادرَ ابنُه المدرسةَ.

وتسـاءلتُ لماذَا أحضـرَ أبناءَه الباقينَ؟! ومَـا علاقَتُـهم بالقضيَّة؟ فهَـؤلاء في مدارسَ أخرَى، فكيفَ عطَّل دراستَهم وأوقفَ تعليـمَهم؟! قالَ: لقَد ضاقَـتْ عليَّ نجرانُ علَى سعَتـها، وسَئمْتُها وركبتُ سـيارَتي برفقَة عَـائلَتي، وجِئنا للرِّياض نريدُ مـقـابلةَ وَزيـر المَعـارف، أو وكـيلَ الوَزارة ننشُـد عندَهمـا حَـلاً للمُـشكلة، ونـطلبُ منهُم إنهـاءً للقـضـيَّـة. وتحدَّثَ ابنُـه الأصغـرُ، وقـالَ مبتسماً: نحنُ معَ أَبينا وَفدُ نجرانَ.

وقَد عـجبتُ من حَـماقـة هَذا الأَب، وتسرُّعِ

هَذا الرَّجل، وأفـهَـمـتُـه أنَّ في نجـرانَ مـديراً للتَّعليم، لو راجعَه لحلَّ المشكلةَ، ولَو زارَه لأنهَى القضيةَ، ثُم قلتُ: لماذَا كانَت المشكلةُ لهَذا الابْن دونَ بقـيَّـة أوْلادكَ؟! كُن أيُّـهـا الأبُ عَـوناً للمَـدرَسة، وكُنْ صَـديقـاً للمعلِّمينَ، وكُنْ أخًـا لأولئكَ الرِّجـال الذيـنَ يسـهـرونَ لأجْل ابْنك، ويشْـقَـونَ لأجْل وَلَـدك، ولعلَّك ـ يَـا أخي ـ تطاولتَ علَيهم فحمقُوا، ولعلَّك قسوتَ فثَارُوا، ولعلكَ عنَّفت فلامُوا.

قـالَ وقَـد هدأتْ حـالُه: نعَـمْ واللَّه، إنَّ ابْني أخذَ دَرْساً، وإنِّي تعلَّمتُ مَنهَجاً، وأنَا في البدَاية صـدّقتُ ولَدي، وغـضبـتُ لغَضـبـه، وهدَّدتُ وأوعـدْتُ، وكانَ مـا كـانَ؛ وأرجوكَ أن توجِّـهَ

المدرسةَ لقبُوله، وتشفعَ لدَيهم لقبُول اعتذَاري.

وعندَ ذلكَ حـرَّكتُ الهاتفَ، وكلمتُ مـديرَ المدرسَة، ورجـوتُه أن يغفـرَ خطأَهم، وأنْ يعـفوَ عَن زلَّتـهم؛ فـهُوَ مُـرَبٍّ ومـوجـهٌ. وكانَ كـمَـا توقَّعتُ؛ فالطالبُ يتغيَّبُ، وعندَه خشونةٌ، ولدَيه قـسوةٌ، يتطاوَلُ على مـعلِّمـيه، ويُؤذي زمـلاءَه، ولمَّا راجـعَهـم الأبُ لَم يصدِّقْ قَـولَهم ولامَـهم فلامُوه، وزجرَهم فزجَرُوه.

وهدأتُ من حَال مُـدير المدرَسة، وكـتبتُ لَه علَى خـطَاب الأَب النصَّ الـتَّـالي: إلـى أَخي، مُدير المدرَسة، وإلَى زَمـيلي المُربِّي الفَاضل، هذَا الأبُ جاءَ إلَى الرِّياض يطلبُ حَلاً، فـوجَّهته أنَّ الحلَّ عندَ مُدير المدرَسة، وأنَّ الرأيَ لدَى الإخْوةِ

المعلِّمينَ في مَدرسة ابْنه، فأرجُو ـ أخي الكَريم ـ أنْ تقبَلوا شفاعَتي، وأنْ لا تُؤاخذُوا المسكينَ علَى خَطئه؛ فأنتُم رجالُ التَّربية، وأنتُم أبناءُ التَّعليم، تحمَّلُوا وتجلَّدوا، فرسالتُكم ساميةٌ، ووظيفتُكم عظيمةٌ، لا تُؤاخذُوا الجاهلَ، ولا تنتَصروا لذَاتكم، ولا تجعلُوا الطالبَ ووليَّ أمْره نداً لَكم. وفَّقَكم اللهُ وأعانَكم. ولكَ ولزُمَلائكَ في المدرَسة خالصُ تحيَّاتي وتَقديري.

ثُم كلَّمتُ مُديرَ التَّعليم بنَجرانَ، وأفهَمتُه مَا حصلَ، وتفاهمتُ معَه علَى تَكليف موجِّه يقومُ بزيارَة المدرَسة، وتَسويَة الأمْر، ومُعالجَة هَذه المشكلَة البَسيطَة اليَسيرة، والصَّعبَة الطَّويلة؛ فنجرانُ تبعدُ عَن الرِّياض أكثرَ من ألْف كم،

وقـد تكبَّدَ هذَا الأَبُ وأبنَاؤُه مـشقَّـةً في المَجيء إلى الرِّياض، معَ أنَّ المَوضوعَ يَسيرٌ، ولا يتطلَّبُ ذلكَ الجُهد كلَّه.

العبيكان للنشر
Obeikan Publishing

إحدى شركات

العبيكان للاستثمار
Obeikan Investment Group

أحدث الإصدارات

Follow Us
obeikn reader
obeikanpub

كتبنا الصوتية
storytel
Kitab Sawti
www.kitabsawti.com
دار هداد للنشر الإلكتروني
Ohad Audio Publishing
WWW.OHAD.SA

كتبنا الإلكترونية
Google Play
amazon kindle

لخدمات البيع والتوصيل
سوق
amazon إحدى شركات
رواق
noon

٥- الأبُ الوَجل

قالَت الحكماءُ: من أدَّبَ ولدَه صَغيراً سُرَّ به كثيراً.

والمعلِّمونَ يتعاملونَ معَ الإنسَان منذُ الطُّفولة، ويسايروَن فترَات عُمره، ويرقبونَ تطورَه ونُضجَه، وتمامَه وكمَالَه، وتتكوَّنُ لَهم علاقاتٌ حَميمةٌ معَ الآبَاء والأبنَاء، وتُصبحُ لعَدد منهُم دالَّة علَى هَذا الطَّالب وذلكَ الفَتى؛ فهُم يخاطبونَ عقلَه ويناجُونَ فؤادَه، ويقضُونَ معَه ردحاً من الزَّمن. وكثيرةٌ هيَ الصدَاقاتُ التي تنشأُ بينَ الطُّلاب ومعلِّميهم، وإنِّي أعرفُ عَدداً من المعلِّمينَ أجهَدوا ذواتَهم في إصْلاح

هَذا الطَّالب، وتَقويم ذاكَ الفَتى، وقلقُوا على جنُوح هذَا، وأسفُوا علَى شَقاء ذاكَ، وصارُوا يتزاورُونَ معَ الطُّلاب، ويصحبُونَهم في رحْلات خلويَّة، وفي الإجَازات الرَّسمية.

وهَذه العلاقاتُ بينَ الطُّلاب والمعلِّمينَ واجبٌ تعضيدُها، وحتمٌ تَقويتُها، وهيَ موجودةٌ كذلكَ عندَ الشُّعوب الأخرَى. جاءَ في كتَاب التَّربيَة والتحدِّي (التجربة اليابانية) لميري هوايت: أنَّ المعلمَ اليابانيَّ علَى الرَّغم من حُدوث تغيُّرات في المجتمَع اليابانيِّ وأيديولوجيَّاته التي قد تمس قليلاً نزعَات التَّضحية وإنكَار الذَّات، إلا أنَّ بعضَ القيَم

والتَّقاليد الماضيَة ما زالَ لها رسوخُها، فيزورُ المعلمُ الياباني تلاميذَه في بيُوتهم مرةً في السَّنة على الأقلِّ، وهذَا جزءٌ من اعتقَاد تربويٍّ، بأنَّ المدرسَ يفهمُ تلميذَه بشَكل أفضلَ إذَا عرفَ أسرتَه، وحياتَه العائليةَ، كمَا أنَّ التلاميذَ يزورُونَ معلِّميهم في بُيوتهم، وكذلك مَنْ درَّسُوا لَهم من قبلُ، وخصوصاً في المُناسبَات، وأنَّه كَثيراً مَا يصطحبُ المعلِّمونَ طُلابَهم في إجازَات قَصيَرة.

وتَروي المؤلِّفةُ عن أحَد المعلِّمينَ حكايةً مؤثِّرةً. يقولُ ذلكَ المعلمُ إنَّه اصطحبَ ستَّةً من الطُّلاب في إحدَى العُطلات، وأَّن الألفةَ والمحبةَ بلغَتْ ذورتَها، حتَّى أنَّ المعلمَ فوجئَ

بأحَـــد الطُّلاب يـطرقُ بابَـه ذاتَ ليلَة ـ وقَـــد انتصفَت ـ ولمَّا فتح َالأستاذُ البابَ للطَّارق سمعَه يقـولُ وفـي عـينَيــه براءةُ الطُّفـولة إنِّـي جـائعٌ يـاأستاذُ.

ويـغلـبُ عـلى ظَـنِّـي أنَّ هَذه الـرابـطةَ بـينَ المعلِّـمينَ والطُّلاب تتــفــاوتُ بينَ مــخــتَلف الشُّـعوب، وتتفـاوتُ قوةً وضـعفـاً بينَ المعلِّمين أنفُــسـهم، وإنِّي مـن خـلال عَــملي في وَزارة المعَــارف كنتُ أباركُ تلكَ الـروابطَ، وإنْ كنتُ أعلمُ أنَّ لكلِّ عَــمل سلبـيَّـاته، ولـكلِّ تصـرُّف مـسَاوئَه، ولكلِّ مـجَـال أخطاءَه، ولكنَّ العبـرةَ بالنتيـجَة، والأمور ينظَرُ إليـهَا بالأغلَب والأعمِّ وليسَ بالحَالات الفرديَّة.

ولهَذا فإنِّي أباركُ لأولئكَ المعلِّمينَ أعمالَهم الخيّرةَ، وأُعضِّدُ جهودَهم المباركَةَ، وأُهنِّئُهم بنشَاطهم الذاتيِّ، ويسرُّني نبلُ الهدَف وسموُّ العمَل.

وإنِّي أتذكَّرُ أنَّه ذاتَ يَوم وأنَا في إدَارة التَّعليم بالرِّياض زارَني أحدُ المعلِّمين، وشكَا أمرَ طَالب يتمرَّدُ علَى وَالده، وذكرَ أنَّه يتطاوَلُ علَى أَبيه في القَول والعَمل، وأنَّه يحاولُ إصلاحَه، ويبذلُ جُهداً لتَقويمه، وذكرَ أنَّه صارَتْ لهذَا الطَّالب مشكلةٌ معَ المدرسَة، وقَد رُفعَت قضيتُه لإدَارة التَّعليم، وربَّما راجَعني والدُ الفَتي وتمنَّى أنْ أساهمَ في حلِّ المشكلَة.

ولقَـد أطـرَيتُ ذلكَ المعلـمَ، ودعـوْتُ لَه، وهمَـمْتُ بتَقـبـيل رَأسه؛ فـهُـو جَديرٌ بالكَرامَـة وأهلٌ للرِّعاية.

وبعدَ أسبوع أبـلغَني مديرُ مكتَبي أنَّ لَديه أباً معَ ابنه، يريدُ المقـابلةَ، ويتـبعُ مـعامـلةً موجـودةً للعَـرض، وعلمـتُ أنَّ هذَا الأبَ وابنَه هُـمـا اللَّذَان حدَّثني عنهُما ذلكَ المعلمُ.

ولهَذا أذنتُ لهُما بالدُّخول، ولكن راعَني أنَّ الابنَ يسـبقُ أبَاه فـي الخُطَى، وسـاءَني أنَّ الأبَ يسيرُ خلفَ ابنه، وآلَمني مَظهَرُ ذلكَ الطَّالب؛ فقد أسدلَ شـعرَه، وفـتحَ جيـبَه، وعجـبتُ من ذلكَ المشهَد المُؤْلمِ.

وبادرتُ ذلكَ الابنَ العاقَّ فأمطَرْتُه بسَيل من التَّقْريع والتَّأنيب، وخاطَبتُه: أينَ التربيةُ؟! وأينَ التعليمُ؟! وأينَ مدرَستُه؟! وأينَ أساتذتُه؟! وأينَ حقُّ الأبوَّة؟! وأينَ الإحسانُ الَّذي أمرَ به ربُّ العبَاد ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾.

وأفهمتُه أنَّه من نتَاج المدَارس، وأنَّ المدارسَ تربِّي وتعلِّمُ، والتربيةُ والتَّعليمُ وَجهَان لعُملة واحدَة، ومُتلازمَان تلازُم العَين لأخْتها، وأنَّه لا غنَى للإنسَان عَنهُما؛ لأنَّهما كالمَاء والهَواء.

وناجيتُ مشاعرَه، وحرَّكتُ عواطفَه، وقلتُ لَه: أينَ الأدبُ؟! وأينَ الخلُق؟! كيفَ تتقدَّمُ

على أبيكَ؟! ألَم تعلَمْ حقوقَ الوَالدَين؟! ألَم تقرأ قولَه تَعالَى: ﴿فَلاَ تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا * وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً﴾.

ثُم كيفَ تَرضَى بمَظهَرك هَذا الذي يُوحي بمخبَرك؟! هَلاَّ حلقتَ رأسَك، وسترتَ جسمَك، وأخذتَ وقارَكَ، وكنتَ قُرَّةَ عَين لأَبيكَ.

وعندَ ذلكَ تكلمَ الأبُ، وقالَ: بنَيَّ، لقَد نبَّهتُك قبلَ المُقابَلة، ونصحتُك قبلَ الزِّيارة، وأرشدتُكَ قبلَ المراجَعَة. وكانَ الأبُ يتحدَّثُ

وهو وَجلٌ، ويتكلمُ وهُو قلقٌ، وكـأنَّه يردِّدُ قولَ الشَّاعر:

أُعلِّـمُـه الـرمـــايــةَ كلَّ يَــومٍ
فلمَّـا اشـتــدَّ سـاعـدُه رمَـاني

وكَم علَّمــتُــه نظمَ القَــوافي
فلمَّــا قـالَ قـافــيـةً هجَــاني

ولقَـد هالتْني نـظراتُ الطَّالب لأَبيـه، وشـدّةُ حَـمْلَقَتـه في وَجه وَالده. وأحـسبُ لسَانَ حَـاله يتوعَّدُ ويتـهدَّدُ، وكأنَّه يقولُ في نَفـسه: اسكتْ، الويلُ لَك، إذا خَــرجْنا فَلي مــعَك شـأنٌ، وإذَا غادرْنا فعنْدي لكَ كـلامٌ. كيفَ تجرَّأتَ؟! ولماذَا أنَّبْتَ؟!

وأمـــامَ هَذَا المَوقف القَـــاسي، وهَذه الحَـــالة الشَّاذَّة أجلستُ الأبَ وأكرمْتُه، وهدَّأْتُه ووقَّرتُه، وأمرتُ لَه بكُوب شَاي، وفنجَان قَهوة، وتماديتُ في لَوم الابْن وتَأنيبـه، ونَهيـه وزَجـره، ووَعظه وإرشَاده، ثُمَّ أمَرتُه أنْ يُقـبِّلَ رأسَ أَبيه، وأن يلثمَ كفَّ وَالده، وقَد فعَلَ الولدُ واستجابَ، ودمعَت عينُه، وأجلَستُـه، وسألتُ اللهَ أنْ يكونَ ابناً بارّاً، لا ولَداً عَاقّا.

ورويتُ لَه قصةً ذكرتْها كتبُ الأدَب، من أنَّ غُلاماً يُقـالُ لَه ذَرّ، حضرَتْه الوفاةُ، فـحضرَ أبُوه فقـالَ وهوَ بينَ يَديه يجـودُ بنَفسـه: ذرٌّ، لئنْ متَّ فمَا في مَـوتكَ علينَا غضاضةٌ، ولئنْ عـشتَ فمَا

بنَا إلى غَـير اللَّه حـاجـةٌ. فلمَّا مـاتَ وقفَ عَلى قَبره، ثُم قالَ: اللهمَّ، إنِّي قَد غَفرتُ لذَرٍّ ما قصَّرَ فيه من وَاجب حـقِّي، فاغفرْ َله ما قصَّـرَ فيه من وَاجب حـقِّك. فلمَّـا انصـرفَ من قَبـره سُـئلَ: كيفَ كانتْ عِشْرَتُه معَكَ؟

فـقـالَ: مَا مـشَى مَـعي في لَيل قطّ إلا كـانَ أمَـامي، ولا في نَهار إلا كـانَ ورَائي، ولا ارتقَى سَقفاً كنتُ تحتَه.

وقلـتُ لهــذَا الـطَّالب: بُنَـيَّ، ترفَّقْ بأبـيكَ، وتعلَّمْ من هَذه القـصَص، فـهَذا حـالُ الابْن معَ أَبيـه، يَمـشي أمـامَـه لَيـلاً كَيْ يَقـيَـه هَوَامَّ اللَّيل وأخطَارَه، ويســيـرُ خلفَــه نَهـاراً؛ إكــرَامـاً لَه

وإجْـلالاً، ولا يصـعَدُ سَـقْـفـاً كانَ والدُه تحـتَـه تَعظيماً لَه وتَقديراً.

فـهلْ تفـعلُ يا ولَدي قَـليـلاً من ذلكَ؟ أمَلي ورَجائي.

وقَد أنهيتُ مشكلتَهم. وأرجُو أنْ يكونَ ذلكَ الطالبُ قَد ثابَ لرُشْده، وصارَ قرَّةَ عَينٍ لأَبيه.

وهاتفتُ مـديرَ مَدرسَـتـه، ورجَوتُه أنْ يبـذلَ جُهْـداً في متابَعَـته وإصْـلاحه وتَقْويمه، وكـتبتُ رسـالةَ شُكر وتَـقـديـر لأَخي، ذلكَ المعـلِّم، ورجـوتُ مُـديرَ تلكَ المدرَسـة أنْ يُطـريَه بينَ زُمَلائه، وأنْ ينقلَ لبـقيَّة المعلِّمينَ وافرَ احـترَامي لذلكَ المعلِّم، وفيضَ مشَاعري لذلكَ المربِّي.

٦- مأساة وموقف

في الأسبُوع الأوَّل من شَهر صَفَر عامَ ١٤١٢هـ، بينَما كنتُ يَوماً معَ المعاملات أتأمَّلُها تحرَّكَ الهاتفُ، وأجبتُ، وإذَا المتحدِّثُ مديرُ التَّعليم بالعُلا. وبدأَ المكالمةَ بالتَّحيَّة والسَّلام، ثُم أعقَبها بزَفرَة وأنَّة، وقالَ: سوفَ أُحدِّثُك عَن مَوضُوعٍ إنسانيٍّ جَدير بالاهتمامِ. إنَّه أمرُ طُلاب تعرَّضُوا لحَادث سَيْرٍ وهُم في الطَّريق إلى المَدرسة، حيثُ يقومُ أحَدُ المواطنينَ بنَقل أبنَائه وأبنَاء جيرَانه كلَّ يومٍ بصفَة تطوُّعيَّة، وفي اليَوم الثَّامن والعشرينَ من شَهر ذي القعْدَة عامَ ١٤١١هـ، وبينَما الطلابُ في الطَّريق إلى

المَدرَسة بالسيَّارة الصَّالون وقعَ حادثٌ مروِّعٌ لهُم، ونتجَ عَنه وفاةُ ثمانيةٍ من طُلابِ المدرَسة، وإصابةُ أربعةٍ آخرينَ.

وذكرَ أنَّ وَضعَ أُسَرهم الماديَّ ضعيفٌ، وأنَّ حالَتَهم الإنسانيةَ تستوجبُ المساعدةَ. ولعلَّ الوَزارةَ تعملُ لذَويهم شيئاً.

ثم أرسلَ خطاباً رسمياً حولَ الموضوعِ.

وبتُّ في حَيرة وحَسرَة؛ فالنظامُ يحكمُ المسؤولَ ويُقيدُه، والاجتهادُ في الأمُور الماليَّة غيرُ وَارد، ولا يمكنُ صَرفُ ريَال إلاّ وفقَ نظامٍ يُجيزُ ذلكَ. فمَا العملُ إذنْ؟

فـهلْ ـ يا تُرى ـ أعـرضُ الأمرَ علَى مَـعـالِي وَزيرِ المعَارف وأتركُ لَـه الرَّأيَ، أو أدرسُ الحالةَ وأجتهدُ في الاقتراحِ، أو أقدِّمُ له أكثرَ من رَأي؟ وبقيَ الخطابُ بـينَ يديَّ أسـبـوعـاً لـعلِّي أجـدُ مَخرَجاً. وناقـشتُ بعضَ المختصِّينَ في الوَزارة، فـأجابُوا بأنَّ الحـادثَ خارجَ المدرسـة، والوزارةُ تحكمُـهـا الأنظمـةُ والتـعليـمـاتُ، ولا مـجـالَ للاجتهادِ.

ولكنْ إذَا أرادَ اللهُ تَيْـسِيـرَ أمْرٍ فـتحَ الأبوابَ ويسَّرَ الأسـبابَ، ولهذَا تذكـرتُ صورةَ خطَاب رأيتُـه مـنذُ فَـتـرة، هـذَا الخطابُ واردٌ من وَزارة الماليَّة والاقتصَـاد الوطنيِّ، ويَقضي بصَرف مبلَغٍ

مـاليٍّ لأسـرَة طَالب تُـوفِّيَ في إحـدَى المدَارس بسببِ سقوطِ خشبـةِ مرمَى كرةِ القَدمِ عليه وهوَ يلعبُ معَ زُملائِه.

وحـمـدتُ اللهَ علَى هَذه الذَّاكـرة، وهاتفتُ القسمَ المختـصَّ، وطلبتُ منهُم البحثَ عَن تلكَ الصُّـورة، إلا أنَّهم بعـدَ يومَـين أبلغُـوني بعـدمِ العُثور عَلى شَيء من ذلكَ، وطلبُـوا رقماً لذلكَ الخطَاب، فأفـدتُهم بأنِّي لا أحفَظُ رقـمَه، ولكنِّي أذكرُ مَـوضوعَـه، وصارَ بَيني وبينَ ذلكَ الـقسم أخذٌ وعطاءٌ، حـتَّى أنَّني كتـبتُ لَهم بخطِّ يَدي: أُقسمُ باللَّه ثلاثاً أنَّني متـأكِّدٌ من الأمْر، فواصِلُوا البحثَ أثابَكُم اللهُ.

وتابعتُ الأمرَ معَ موظَّفي ذلكَ القسْم فلم يجدُوا شيئاً، وأعيَاهم البحثُ، ولهمُ العذرُ في ذلكَ؛ فلدَيهم مئاتُ الأوراَق، وعشراتُ المُعَاملات، وهَذه معاملةٌ لا يعلمونَ من أينَ أتتْ، ولا أينَ ذهبَتْ، ولا اسمَ صَاحبِها، ولا المنطقةَ التِي تقعُ فيهَا المدرسةُ.

ثُم أسعفَتْني الذاكرةُ مرةً أخرَى، فتذكرتُ أنَّ مدرسةَ ذلكَ الطَّالب تقعُ في إحدَى إداراَت التَّعليم الجنوبيَّة أو الشَّماليَّة. ولهذَا استدعيتُ مديَر مكتَبي، وطلبتُ منْه محادثةَ مُديرِي تلكَ المَناطقِ وسؤالَهم عَن هذا الموضوعِ.

وفي اليَوم التَّالي، جاءَني مديرُ المَكتَب وهُو

يبتسمُ، وقالَ: لقَد وجدتُ الأمرَ، إنَّه في إدَارة التَّعليم الفُلانيَّة، ولقَد أرسلَ مديرُ التَّعليمِ (بالفاكس) صورةَ الخطَاب الذي تبحثُ عَنه، وها هُو بينَ يدَيك، فحمدتُ اللهَ علَى ذلكَ.

وتأمَّلتُ الخطابَ فوجدتُ أنَّ الأساسَ النظاميَّ في الصَّرف لتلكَ الحَالة هُو قرارُ مَجلس الوُزراء رقم (٢٢٨)، المُؤَرَّخ في ١٨/ ١٢/ ١٤٠٠هـ، والذي يَقضي بأن يُصرَفَ لأوليَاء أمُور الطُّلاب السَّعوديينَ في كافَّة مرَاحلِ التَّعليم في حَالة الوَفاة داخلَ المَدرسَة ستونَ ألفَ ريالٍ.

وبعدَ استخَارة وتأمُّل اهتدَيْنا إلى أنَّه يمكنُ

تطبيقُ هذَا القَرار عَلى هَذه الحَالة، ولكنْ بعدَ استئذَان المقامِ السَّامي؛ لأنَّ الحادثَ وقعَ خارجَ المدرسةِ.

وجرَى استكمالُ الأوراَق، وتَّم إعدادُ عَرض للمَقام السَّامي بطلَب المُوافقة علَى تَطبيق هَذا القرَار، وصَرف ستينَ ألف ريَال لولِيِّ أمْر كلِّ طَالب مُتوَفّى، وعددُهم ثمانيةُ طُلاب، وثلاثينَ ألف ريَال لكلِّ طَالب مُصاب، وعددُهم أربعةُ طُلاب. وأُخذَت المعاملةُ لَمعالي وَزير المعَارف آنَذاكَ، د. عبد العزيز الخويطر، وأخبرتُه بتفاصيلِ الموضوعِ، وما توصَّلْنا إليه. ولقَد بارَكَ ذلكَ الإجرَاءَ، ووقَّعَ على الفَورِ خطابَ المَقام السَّامي.

وكلمةُ حقٍّ لا بدَّ مِن ذِكرِها، فالدكتورُ الخويطر ـ وهوَ المشهورُ بالضَّبط والحَزم ـ هُو في مَجالات الخَيرِ سباقٌ، وللجَوانب الإنسانيةِ فعالٌ.

وتابعتُ الأمرَ، وكانَت الاستجابةُ الساميةُ الكريمةُ فوريةً وسريعةً. فقَد صدرَ توجيهٌ سامٍ لوزَارة الماليَّة والاقتصَاد الوطنيِّ بالصَّرف لذَوي الطُّلابِ وَفقَ مرئيَّات الوَزارة.

وهاتفتُ مديرَ التَّعليم في العُلا، وأخبرتُه أنَّ الجُهدَ قَد أثمرَ. وصدرَت الشيكاتُ، وسُلِّمَت المبالغُ لذَوي الطلابِ.

وقد حمـدتُ اللهَ، ودعوتُ لوليِّ الأمْر علَى استجابَته السَّريعة.

إنَّها مأساةُ مواطنينَ، ومواقفُ دولةٍ حَرِيةٌ بأنْ تُعرَفَ.

٧- استلم المفتاح

يقومُ الموجِّهونَ التَّربويُّونَ في مَناطق التَّعليم بجَوْلات ميدانيَّة، ويقضُونَ ثلاثةَ أربَاع وَقتهم في الحركَة والتنقُّل بينَ المَدَارس. ويرفعُ هَؤلاء الرجالُ تقاريرَهم للمَسؤولينَ في إدارَات التَّعليم.

ولهَؤلاء الموجِّهينَ مهمَّات متعدِّدة، واختصاصاتٌ متنوعةٌ، فَمنهُم المختصُّ بتَوجيه مادَّة التَّربية الإسلاميَّة، وثان لمادَّة الرياضيَّات، وآخرُ باللُّغة العربية، ورابعٌ بالعُلوم.

وفئةٌ أخرَى من هَؤلاء تتولَّى تقويمَ مُديري المَدارس. ويُسمَّى هَؤلاء موجِّهي الإدَارة

المدرسيَّـة. وقَد لاحظتُ في أثنَاء عـمَلي أنَّ هذَا المجالَ يتقدَّمُ لطلَبه عـددٌ كَبير من الإخْوَة. ولعلَّ السـببَ أنَّه تَوجيـه إداريٌّ تربويٌّ، وليسَ علميّـا بحـتاً، فَـضـلاً عَن كَـونه تقويمًا لقَـائد المَدرسـة ومُديرها.

كما يوجَد موجِّهونَ للإرشَاد الطلابيِّ، وهذَا المجـالُ كذلك مـطلوبٌ ومرغـوبٌ؛ لأنَّه نشـاطٌ اجتماعيٌّ، وليسَ علمـيّا يستوجبُ من الموجِّه أنْ يكونَ متمكناً من المادَّة العلميَّة؛ فأمامَه عددٌ كبيرٌ من المعلِّمين يحـاورُونَه ويناقـشـونَه، وبعضُـهم يتفوَّقونَ علَيه في العلْم والمعرفَة.

وكـذلكَ هناكَ مـوجِّهـونَ للنَّشـاط التـربويِّ الاجـتــمـاعيِّ والمســرحيِّ والكَشْـفـيِّ والفنيِّ

والرياضيِّ، ويؤدي هَؤلاء دَوراً مُهماً في تَقويم المدَارس، ودَفعها نحوَ البَرامج التربويَّة المُساندة، التي لهَا الدَّورُ الكَبيرُ في تَكوين شَخصيَّة الطَّالب وصَقْلها وإعدَادها.

ومطلوبٌ من جَميع هَؤلاء الموجِّهينَ على اختلاف مهمَّاتهم تزويدُ إدارَة التَّعليم برُؤيَتهم التربويَّة وانطباعَاتهم العامَّة عَن كلِّ مَدرسة يزورُونَها. وكانَ اللهُ في عَون أولئكَ الرِّجال فإنَّهم يصطدمونَ أحياناً بالمَيدَان، ويجدونَ حرَجاً من بَعض المعلِّمينَ وعَنتاً في بَعض المدَارس، ويتحوَّلُ التَّقويمُ إلى خلافٍ، ويتطورُ التوجيهُ إلى جدالٍ.

ولكنْ من نعمَة اللَّه أنَّ الخلافَ قليلٌ، وأنَّ

الوئامَ قائمٌ بينَ الموجِّهين والعاملينَ في المدَارس معَ كَثرَتهم الكَاثرة. بَلْ كثيراً مَا يطلبُ بعضُ المعلِّمينَ، وبعضُ مُديري المدَارس من الموجِّهينَ الزيارةَ للمُساعَدة وإبدَاء الرَّأي.

ومن تلكَ الصُّور أنِّي أتذكَّرُ أنَّه في شَهر من الشُّهور، يومَ أن كنتُ مديراً للتَّعليم بالرِّياض وصلَتْني تقاريرُ عَن ضَعف في إحدَى المدَارس، واتَّفقَ عددٌ من الموجِّهين عَلى قُصُور فى إدارَتها، ولكنَّهم رأَوْا منَحَ مُديرها مهلةً لإصْلاح القُصور، وأعطَوه وقتاً لمعالجَة الخَلَل. واتفقتُ معَ الموجِّهينَ في الرَّأي. وكتبتْ إدارةُ التَّعليم لمُدير المدرَسة رَسمياً بما علَيه، فجاءَ ذلكَ المديرُ غَاضباً، ودخلَ مكتَبي متجهِّماً، وأرغَى وأزبدَ،

وهاجمَ أولئكَ الموجِّهينَ، وقالَ في رَئيس التَّوجيه كَلاماً جَارحاً.

وبعدَ أنْ فرغَ الرجلُ من كَلامه هدَّأتُه، وأجلستُه وأفهمتُه أنَّني قَد اطَّلَعتُ علَى المُعامَلة وأخبرتُه بما علَيه من خَلل ونَقص، وأخبَرتُه أنِّي أشاركُ الموجِّهينَ الرأيَ، وأتفقُ معَهم فيمَا توصَّلوا إلَيه. ولكنَّ الرجلَ ساءَه قَولي، وغضبَ من قنَاعَتي، فقالَ: «وأنتَ معَهُم كذلكَ؟! هَذه مفاتيحُ المدرسَة. استلمُوا مدرستَكم». وأخرجَ من جَيبه ميدَالية بهَا مجموعةُ مفاتيحَ، ووضعَها علَى مكتَبي.

قلتُ لَه: حَسناً، إنَّه قَرارٌ صائبٌ يا أخي، توكَّلْ علَى اللَّه، ودَعِ المفاتيحَ، وسوفَ يقومُ

جهازُ المتابعَة باستلامِ المدرسَة، وتَسليمها للمُدير البَديل. أمَّا أنتَ فسوفَ توجَّه للمَكان المُناسب.

وخرجَ الرجلُ غاضباً، وأظنُّه يلومُ ويعتبُ، وأحسبُهُ يردِّدُ أبياتَ الهجَاء التي يحفظُها.

واستدعَيتُ مديرَ المتابَعة آنذاكَ، الأخَ عبدَالعَزيز الشّدوخي، وهُوَ من خيرَة موظَّفي إدارَة التَّعليم بالرِّياض أمانةً وخُلُقاً ورحابةَ صَدر، وكرمَ خلُق، ولكنْ أسفَى أنَّه تقاعدَ، وتركَ الخدمةَ الحكوميةَ، وما أصعبَ فقْدَ أولئكَ الرجَال الذينَ تكوَّنَت لدَيهم خبرةٌ ودرايةٌ! إنَّهم كنوزٌ صارَت الدوائرُ الحكوميةُ تفقدُهم الواحدَ إثرَ الآخَر. المهمُّ جاءَ الرَّجلُ، وأفهَمتُه مَا جرَى. وأخذَ المعامَلةَ والمفاتيحَ التي تركَها ذلكَ المديرُ

الغاضبُ، وقلتُ لَه: أجزمُ أنَّ هَذه مفاتيحُ سيَّارته ودَاره، وربَّما مكتَبه، وليستْ مفاتيحَ المدرسَة، فللمدرَسة حارسٌ. وبعدَ صَلاة الظُّهر عادَ مُدير المُتَابَعة، الأخُ الشّدوخي ومعَه مديرُ المدرسَة وأبدَى أسفَه، وقدَّمَ اعتذارَه، وطلبَ منحَه مُهلةً لإصْلاح مَا لَدَيه من خَلَل، ورَجَا أنْ يزورَه الموجِّهونَ بعدَ ذلكَ لينظرُوا، ثُم يُقررُوا مَا يرَونَه نحوَ استمرَاره في إدارَة المَدرَسة أو تَحْويله لَموقع آخرَ.

وابتسمتُ، وقلتُ لَه: لا مانعَ، ولَكن لا تتعجَّلْ ولا تتسرَّعْ، فَفي التَّأَنِّي السلامةُ، وفي العجَلَة الندامةُ. واذهَبْ إلى مدرَسَتك، وترفَّقْ في قَولك، وكانَ اللهُ في عَونكَ.

٨- الحِمـــار

عندمَـــا أتحـدَّثُ عَن المعـلِّمينَ فـإنِّي أشـــفقُ علَيهم؛ لأنِّي كنتُ معلِّمـاً مثلَهم، فلقَد مارستُ مهنَتَهم الشـاقةَ، وعرَفتُ الجهـدَ الذي يقدِّمُونه، والعطاءَ الذي يبذلُونَه.

وإنِّي أعـتـزُّ بكلِّ مـعلِّم، وأهنِّئُ كلَّ مـربٍّ، وأُطري كلَّ مؤدِّب؛ فـهُم صُنَّاع المُستَـقبل، وبُناةُ الغَد.

ولكنْ بينَ أولئكَ الرجَال مَن لا يصلُح لتلكَ المهْنة، ومـعَهم مَن لا يـقدِّرُ تلكَ الرِّسـالة، وفي صفُـوفهم الأحمقُ والسفـيهُ، فهُم كـسواهُم من

شَـرائح المجتـمَع وفـئَـاته، يوجَـد منهُم المتـميـزُ والقاصرُ، والجادُّ والمهملُ، والصالحُ والطالحُ.

وفي أثنَاء عملَي تردُني بعضُ المعامَلات التي تُحيِّـرُ وتُقلقُ، وتصلُ بعضَ القـضايَا العَـجيـبة، والمشَـاهد الغَريبـة، وتجعلُني أحـتارُ، وأتسـاءلُ: كـيفَ صـارَ هذَا الأمــرُ؟! وكـيفَ حـدثَ هذَا التـصـرفُ؟! ولكنْ من نـعـمَـة اللَّه أنَّهـا نادرةٌ وقليلةٌ.

ومن تلـكَ المعـامَــلات النَّـادرة أنَّه ذاتَ يَوم وجـدتُ مـع الأوراَق قـضـيــةَ مـعلِّم اشــتَكاه مـجمـوعةٌ من أوليَـاء الأمُـور؛ لأنَّه يكتبُ علَى جـبَـاه أبنَائهـم عـبـارَة (الحـمَـار)، وذلكَ بخطٍّ

وَاضح، ويأمـرُهم بالخُـروج في الفسـحَـة، لكَي يراهُم زملاؤُهم، فـيضحَكون عَليـهم، ويهزَأونَ بهم، ويسخَرون منهُم.

وقَد أخـبرَ أولئكَ الطُّلابُ الأهـلَ بمَا جرَى، وأشعرُوهم بمَا حصلَ من هَذا المعلِّم الأحمَق.

واشـتكَى الآباءُ، وحقَّـقت إدارةُ التَّـعليم في الأمْـر، وسـألُوا ذلكَ المعلـمَ عَن هَذا التـصـرُّف الغَريب. فـقالَ إنَّه استـخدمَ هذَا الأسلوبَ بدلاً من الضَّـرب الذي منعَتْـه الوزارةُ، وعوَضـاً عن العُنف الذي يرفضُه بعضُ التَّربويِّين.

وقـالُوا لَه: ويلٌ لَـك؛ إنَّ الضـربَ أرحمُ من

هذَا المنهَج الخَاطئ، وإنَّ القسوةَ أجملُ من هَذا الأسلُوب الأهوَج، ثُم هَل ترضَى أنْ يُكتبَ علَى جَبينك هذَا القولُ؟! أو تقبلُ أنْ يُخَطَّ عَلى وجهكَ هذَا اللفظُ؟! أو تستطيعَ الجلوسَ بينَ زُملائك المعلِّمينَ في المَدرسة وهُم قلةٌ وفوقَ رَأسك هَذه العبارةُ المنكَرةُ؟!

أَتُفضِّلُ أنْ يُحسَمَ علَيكَ، وأنْ تُنقَلَ من المدرسَة، وأنْ تتحولَ لعَمل آخرَ، أو يُكتبَ عليكَ مثلُ هَذا القَول؟

هذَا ولقَد كَان المحقِّق متمكِّناً، فلمَّا حاصَرَه بهَذه الأسئلَة كانَ جوابُه الرفضَ والغضبَ والشَّمَمَ والإباءَ.

وقَد تَمَّ محاسَبةُ ذلكَ المعلِّم، وجرَى تنبيهُ مُدير المدرَسة أنْ يكونَ يَقظاً مُتابعاً للمعلِّمينَ ليمنعَ مثلَ هَذه التصرُّفات الهَوْجَاء.

وبينَما كنت أكتبُ هَذه الحادثةَ تذكرتُ مَا رَواه ابنُ قتيبةَ في عُيون الأخبَار[1] من أنَّ بعضَ المعلِّمينَ كانَ يُقعدُ أبناءَ الميَاسير والحسَانَ الوُجوه في الظِّلِّ، ويُقعدُ الآخرينَ في الشَّمس ويقولُ: «يَا أهلَ الجنَّة ابزقُوا في وُجُوه أهْل النَّار».

وإنِّي أقولُ: إنَّ في كلِّ زمَان حَمقَى، وفي كلِّ مَكان بَلْوى.

(١) عيون الأخبار ٤/ ٤٠.

٩- أمِير القَرية

كنتُ علَى اتِّصال يَومي بمُديري التَّعْليم، نتحاورُ ونتشاورُ، ونتفاهمُ ونتناقشُ، وذاتَ يَوم حدَّثَني أحدُ مُديري التَّعليم عَن مُشكلَة وقعَت في إحدَى المَدارس القرويَّة، حيثُ قالَ: إنَّه في مدرَسة كَذا صارَت مشادةٌ ومخاصمةٌ، فقَد قامَ أحدُ المعلِّمين بزَجْر طَالب يُظهرُ شيئاً من التحدِّي، ويُبدي جانباً من الفُتُوَّة؛ فهُو ابنُ أَمير القَرية، وابنُ زَعيم البَلدة. وفي ذلكَ اليَوم تطاولَ ذلكَ الطَّالبُ، وتمرَّدَ عَلى المعلِّم، وقهقهَ في الفَصْل. وأمرَه المعلِّمُ بالخُرُوج لمُدير المدرَسة فامتنعَ، وزجرَه فتمادَى. وحينَئذ همَّ المعلِّمُ بضَربه، فقفزَ الطالبُ من الفَصل، وجرَى نحوَ

أَبيه يصرخُ ويشتَكي، وصارَ يَبكي ويصيحُ ويحتالُ ليستثيرَ والدَه. وصادفَ في ذلكَ اليَوم أنْ كانَ عندَ وَالده ضيوفٌ، فقامَ الأبُ، ومَا قعدَ، وأرغَى وأزبدَ، وجاءَ إلى المدرَسة مُسرعاً؛ لينتصرَ لذَاته؛ فقَد أخذَتْه الحَميَّة وحرَّكَتْه العصبيَّةُ، ودفعَه الجَهلُ، وأعمَاه الحمقُ، ووصلَ الأبُ إلى المَدرسَة. ومَعلومٌ أنَّ المدارسَ القرويَّةَ صغيرةٌ، وسهلٌ الوصولُ إلَيها. ولهَذا اتَّجَهَ ذلكَ الأعرابيُّ الأحمَقُ إلى الفَصل، ومعَه عَصاً غليظةٌ، ودفعَ بابَ الفَصل بقَدمه، وهمَّ بضَرب المعلِّم، وكانَ اللهُ في عَونكُم إخْوَاني المعلِّمينَ؛ فكَمْ تلقَونَ من عَنَت، وكَم تَجدونَ من بَلاءٍ، وكَم تُصادفونَ من أحمقَ!

المهمُّ كـانَ المـعلمُ أقـوَى وأنشـطَ من ذلكَ الأَب، فأخذَ العـصَا، ورمَى بالأَب بينَ الطُّلاب. وكانَ الأبُ قصـيرَ القَامة، ويلبَـسُ إزاراً أقصرَ. وحينَ سقطَ انكشفَت عورتُه، فضَحكَ الطُّلابُ، وصفَّقُوا، وأنشَدُوا في عَـورَته وشَمتُوا بسَوءَته. وكانَ مَشهداً مُثيراً، ومَنظراً مُضحكاً، وصارتْ ضجةٌ وحركةٌ، وسُـمعَ الصَّوتُ والجَلَبَةُ، فأسرعَ مديرُ المَدرسَة، والعاملـونَ معَه إلى ذلكَ الفَصل الذي صـارَ ميدانَ مُـصارعَـة، ومكانَ مُجَـالَدة، وفكُّوا الاشـتبـاكَ، وصـرفُوا الطلابَ، وأغلَقُـوا المدرسـةَ، وركـبَ مُـديرُ المَدرسَـة وذلـكَ المعلمُ سـيارتَهم، وهَربُـوا من القَرية؛ فـقَـد خافُـوا من

تطوُّر الأمُـور وسُـوء العَـاقـبـة! واتَّصلُوا بمُدير التَّـعليم في تلكَ المَنـطقَة، وأخـبَـرُوه بمَا حـدثَ وطلبُوا منه معالجةَ الأمْر.

وقَـد هدَّأَهم مديرُ التَّـعليم، وطمـأَنَهم. وفي اليَـوم التَّـالي عـادُوا إلى المَدرسَـة برفْـقَـة مُـدير التَّـعليم الذي اسـتدعَى الأهاليَ وأمـيـرَ البَلدة، وأخـبـــرَهم أنَّه تقـــرَّرَ إغـلاقُ المَدرسَـــة، ونقْلُ المعلِّمينَ وتحويلُ طُلابهم إلَى القَريَة المجاورَة.

وقَـد انزَعجَ الأهَالي وأمـيـرُهم الأحـمقُ من هَذا القَـرَار، وأبدَوا أسفَـهم، وعاتَبـوا أميـرَهم، وترجَّوْا مديرَ التَّعليـم إبقاءَ المدرَسَة. ولكنَّ مُديرَ التَّـعليم أخـبرَهُـم أنَّ هذَا قرارٌ صـعبٌ إلغـاؤُه؛

فللمعلِّـم كرامتُـه، وللمدرسَة حـرمَتُهـا. وكيفَ يحـصلُ هذَا التعـدِّي من أَمـير البَلدة، الحَـارس للأمْن، والمسؤُول عَن كَرامة المعلمينَ؟!

ويقولُ مُديرُ التَّـعليم: إنَّه رغبَ أنْ يُظهرَ لَهم أهميةَ المعلِّم والمَدرسة، فأخـبرَهم أنَّ الموافقةَ بيَد ذلكَ المعلِّم، فـإنْ تنازلَ أبقَينا المدرسـةَ وإن أصرَّ على المطَالبَـة بحـقه نقلْنَا المـدرسةَ، ورفـعْنَا عَن تعَدِّي هذَا الرَّجُلِ إلى الجهَاتِ المختصَّةِ.

وعندَ ذلـكَ توجَّـهَ الأهَالي وأمـيـرُ الـبَلدة للمعلِّم ولمُدير المَدرَسة، واسـترضَوهُم ورجَوهُم أن يتوسَّطُـوا لإبقَاء المدرَسة، وتعـهَّدُوا باحـترَام المدرَسة ورعَاية العَاملينَ فيهَا.

وتصالحَ الفَـريقَان، وهدأَت الأمـورُ، وصارَ للمَدرسَة هيـبتُها، وللمُـدرسينَ مكانةٌ واحترامٌ، وتأدَّبَ ذلكَ الأعـرابيُّ الأحـمقُ، وفهمَ حـدودَه وعرفَ قدرَه.

العبيكان للنشر
Obeikan Publishing

إحدى شركات

العبيكان للاستثمار
Obeikan Investment Group

أحدث الإصدارات

Follow Us
obeikn reader
obeikanpub

كتبنا الصوتية
storytel
Kitab Sawti
www.kitabsawti.com
دار هداد للنشر الإلكتروني
Ohad Audio Publishing
WWW.OHAD.SA

كتبنا الإلكترونية
Google Play
amazon kindle

لخدمات البيع والتوصيل
سوق
أحدى شركات amazon
رواق
نون noon

١٠- السيجارة

معَ كلِّ صَباح يجدُ المسؤولُ التعليميُّ، صوراً متنوعةً، وأخباراً متعددةً، فهذه المدرسةُ صارَ فيها ذلكَ النشاطُ، وتلكَ المدرسةُ حدثَ فيها ذلكَ الخلافُ.

إن المدارسَ في المملكة بالألوفِ، ولهَذا لا غَرْوَ أن يحدثَ فيها تبايُنٌ، وأن يكونَ بينَها تمايزٌ؛ فهيَ موزعةٌ في المُدنِ والأرياف، وبينَ كلِّ الطبقاتِ والفئاتِ.

والطلابُ في تلكَ المدارس يصورُونَ واقعَ بيئتِهم الاجتماعيةِ والثقافيةِ، ويعكسونَ حالةَ

أُسرِهم ومـا هيَ علَيه من فَـقرٍ أو ترفٍ، وترابطٍ أو تنافُرٍ، وإهمالٍ أو رعايةٍ.

وفي المدارس تـرَى المجتـــمعَ بكلِّ أشـكالِه وألوانِه وتبايُنه واختلافِه.

ومسؤوليةُ المدارسِ ـ وبخاصَّةٍ العاملونَ فيها ـ عظيـمـةٌ؛ فهي الجـهـةُ المباشـرةُ، وهيَ الميـدانُ التنويريُّ، والمحـضنُ الإصـلاحيُّ، ويخطئُ مَنْ يظنُّ أنَّ المدارسَ جهةٌ تلقيـنيةٌ للمعَارف وراويةٌ للعُلُومِ، بَـل هيَ مـيـدانُ التَّـربيـــة والبنَاء، وهيَ ساحـةُ الرعايةِ والمعـالجةِ، وهي مكـانُ الإصلاحِ والتطويرِ.

ومن الصَّور الـتي تؤكدُ ما أقـولُه، وتنطقُ بما أراهُ أنَّه اتصـلَ بي في إدارةِ التـــعليمِ بـالرياضِ أحـدُ مديـري المدارسِ، وأخبـرَني أنَّه وجـدَ في جَـيب طفلٍ ـ لعلَّـه في الثـامـنة من عُـمـــره ـ سيجارةٌ، وقـامَ بالاتِّصال بالبَيت. وكلَّمَ أمَّ ذلكَ الطفلِ، وكـانَ المديـرُ منفـعـلاً ومـتـأثراً، كـيفَ يمارسُ الصـغيـرُ هذه العـادةَ السيـئةَ؟! وكـيفَ يتـربَّى هذا الطفلُ علَى ذلـكَ السلوكِ المشينِ؟! وأبلغَ البـيتَ انزعـاجَـه، وطلبَ منهم مـراقـبـةَ الطِّفل قبلَ أنْ يسـتفحلَ الأمـرُ. وأكدَ للأم أنَّهم في المدرسةِ سيبذلون جهدَهم لعلاجِه وتقويمِه.

ويقولُ مديرُ المدرسةِ: إنَّ المفـاجأةَ كانَتْ بعدَ

انتهاءِ المكالمة! فقَد قالَت الأمُّ: عَلى رِسلك يا هذَا؛ فنحنُ الذينَ شجَّعنَاه على ذلك؛ لأنَّنا لا نريدُ أن يظلَّ ابنُنا شاذاً في البيتِ، بَل نريدُ أن نعوِّدَه على ذلكَ السلوك الذي أزعجَك؛ فالبيتُ كلُّه يدخِّنُ! وأنهَت الأمُّ المكالمةَ!

وقَد أبلغَني مديرُ المدرسةِ ذلكَ الخبرَ، وطلبَ منِّي الرأيَ والمشورةَ.

وكانَ جَوابي أن يُعيدَ الكَرَّةَ معَ الأبِ؛ فقد لا تكونُ المتحدثةُ الأمَّ، ولكنَّه أفادَ بخيبةِ أملِه في الأبِ، وأنَّ الطفلَ أخبرَه أن أمَّه تُدخِّنُ.

وعندَ ذلكَ تمثَّلتُ بقولِ الشاعرِ:

إذَا كانَ ربُّ البيتِ بالدُّفِّ ضارِباً

فشيمةُ أهلِ البيتِ كلِّهم الرقصُ

وقُلتُ لأخي مُدير المدرسة: كانَ اللهُ في عَونك، ولا تيأسْ؛ فهذَا قدَرُكم رجالَ التربيةِ، وإنَّ صَلاح المجتَمَع من مسؤوليَّاتكم، ورعايتَه من واجباتِكم. وسألتُ اللهَ للبَيت الهُدَى والصلاحَ، وللطِّفل السلامةَ والنَّجاةَ. وأكَّدتُ على مُدير المدرسَة أنْ يركِّزَ جهدَه على تَوجيه هذا الطفلِ، وأنْ يكونَ أباً لَه؛ فهذَا أسوأُ حالاً من فاقدِ الأبوَين.

وقلتُ لعلَّ البيتَ يصلحُ من خِلالِ هَذا الطِّفلِ وعَبْركم أنتُم رجالَ المدرسةِ.

وصورةٌ أخرَى حدَّثَني بها أحدُ الإخوة مديري التعليم. يقولُ: لاحظَتْ إحدَى المدارس في منطقَته أن أحدَ طُلابها يحرقُ نفسَه بكثرة التدخينِ، وأنَّه يستأذنُ من الأساتذةِ في كلِّ حصةٍ أكثرَ من مرةٍ ليخرجَ ويدخنَ.

وقد نصحَه المعلمونَ فلَم يستَجبْ، وزجرُوه فلَم يرتدعْ. وتناوَبَ المدرسون على إقناعه وتتابَعوا في إرشاده، فعجَزُوا، وسلكُوا شتَّى الطرقِ فمَا استطاعُوا.

وحينَ أعيَتهُم الحيلةُ قالَ أحدُ المعلِّمينَ: اتركُوا لي علاجَه، واسمَحُوا لي بطريقة قَد تبدُو غريبةً، ولكنَّها مفيدةٌ.. ووضَّحَ لمديرِ المدرسة

طريقتَه تلكَ.

يقولُ الرَّاوي: وسمحَت المدرسةُ للمعلِّم أن يتصرفَ بما يراهُ.

وفي اليَوم التَّالي، اشترَى ذلكَ المعلمُ كرتوناً يحتَوي علَى مجمُوعَة كبيرة من عُلَب الدُّخان التي يفضِّلُها ذلكَ الطالبُ، وأحضرَ مكتباً صغيراً، وجعلَه بينَ مكاتبِ المعلِّمينَ في الغُرفة المخصَّصةِ لَهم، ووضعَ الدخانَ الذي اشترَاه في ذلكَ المكتبِ.

ثُم قامَ باستدعاء الطالبِ، وحادثَه برفقٍ، وقالَ له: أعرفُ أنَّكَ مُبتلًى بعادةِ التدخينِ،

وأعلمُ أنكَ تجـدُ حرجـاً من الطلاب والمعلِّمين، وأرغبُ في مسـاعدتِك، ورفْعِ هَذه المعـاناةِ التي تحرجُك، وإزالةِ تلك المرارةِ التي تؤرِّقُك.

قالَ الطالبُ: وما نوعُ المساعدةِ؟

قـالَ المـعلمُ: لقَـد أقـنعتُ مـديرَ المـدرسـةِ، واتَّفَـقتُ معَـه على مـسـاعدتك، ورفعِ الحـرجِ عنكَ. وسوفَ نبلـغُ أساتذتَكَ أن يَسمـحُوا لكَ بالخُروجِ حينَ تطلبُ ذلـكَ، شَرِيطةَ أن لا تدخنَ في الممراتِ ولا في الساحاتِ.

قالَ الطالبُ: وأينَ؟!

قالَ المعلمُ: لقَد خصَّـصْنا لكَ مكاناً في غرفةِ المعلمينَ.

قالَ الطالبُ: لا تَهزَأ بي يا أستاذُ.

قالَ المعلمُ: هيَّا إلى المَكان المخصَّص وسوفَ تعرفُ أنَّني جادٌّ، وأنِّي أرغبُ في رفعِ هَذه المعاناةِ عنكَ.

وذهبَ الطالبُ والمعلمُ إلى غرفة المعلمينَ، وأعطَاهُ المعلمُ مفاتيحَ الطَّاولة، وقالَ له: هَذه الطاولةُ ضَعْ فيها ما لديكَ من دُخانٍ، وستجدُ فيهَا كذلكَ كميةً أحضرتُها لكَ.

وأشعلَ الطالبُ السيجارةَ الأولَى، وسرحَ بخيالِه، وصارَ يفكِّرُ في الأمرِ، وهَل هُو حقيقةٌ أو خيالٌ؟! ثُمَّ قامَ الطالبُ، وذهبَ إلى فصلِه.

وصارَ يتردد على غرفةِ المعلِّمينَ إذا رغبَ السيجارةَ.

يقولُ الرَّاوي: واستمرَّ الطالبُ، ولكنَّه صارَ يشعرُ بالحَرجِ أمامَ المعلِّمين، وأخذَ يُقلِّلُ من هَذه العَادة. ورُوَيداً رُويداً باتَ يتقهقَرُ؛ فمخالستُ النظرِ لَه من قِبَلِ المعلمينَ جعلتْه يتراجعُ. ومَا هيَ إلا أيامٌ وجيزةٌ وإذَا به ينقطعُ، ويبرأُ من السيجارةِ التي كانَت تحرقُه.

هذه رسالةُ المدرسةِ، تُربِّي وتعلِّمُ، تُقوِّمُ وتصلحُ. وكانَ اللهُ في عَونِ رجالِها وباركَ اللهُ في فرسانِها.

١١- رحلة الشتاء ورحلة الصيف

لقَــد أنفــقَت الدولةُ علَى الـتَّـعلـيم الشيءَ الكثـيـرَ، وازدادَتْ مـيـزانيـةُ التَّـعلـيم سنةً بعـدَ أخرَى، وانتـشرَت المدارسُ في كلِّ مَـدينة، وفي كلِّ قَرية، واطمأنَّ المسـؤولونَ عَن التَّعليم بأنَّه لا يوجَـدُ طفلٌ في المملَكة العربيَّـة السعـوديَّة دونَ تَعليـم، اللهمَّ إلاّ أولئكَ الَّـذينَ منعَــهم آباؤُهم الالتحاقَ بالمَدرَسة، وأجزمُ بنُدرَتهم.

وبهــذَا المنهَج عـالجَـت الدولةُ الأمـيَّــةَ من جُذورهَا، ولكنَّ أولئكَ الكبارَ الذينَ فاتَهم قطارُ التَّــعليـم، أو الذينَ هُم في الصَّــحــاري وراءَ مَواشيهم ولَم يتعلَّموا ـ ماذَا يُقدَّمُ لَهم؟

إنَّ تلكَ الفـئَـات أعدَّتْ لهَـا وزارةُ المعَـارف البرامجَ الخـاصَّةَ، ونظَّمَت لَها التَّـعليمَ المناسبَ، وفـتحَت لهـم المدارسَ الليليةَ، وصـمَّـمت لهُم المناهجَ المناسبةَ.

ونظَّمَـت الوزارةُ برامجَ تـعليـــمـيَّـــة في الإجَـازات، وسَمَّـتْـها حَـملات مَـحـو الأمِّيـة، وسـيـرَت تـلكَ الحَـمـلات في جَـمـــيع مَناطق المملَكـة، وأقـامَـــتْـهـــا في كُل صَـيـف. وكـانَ المسـؤولونَ في الوَزارَة يَزُورُونَ تلكَ الحَمـلات بينَ الحين والآخَر، ويُقوِّمونَ برامـجَها، ويُعدُّونَ التقاريرَ الفنيةَ عَن تلكَ الحَملات.

ولقَـد كنتُ ممَّن يزورُون تَلكَ الحَمْـلات بينَ

الفَـيْنَة والأخـرَى. وذاتَ مـرَّة زرتُ إحـدَى الحَـملات المُقـامَـة في صَـيف سَنة ١٤١٣هـ، وكانَت تلكَ الحملةُ كبيرةً، ومنتدبًا لهَا مَجموعةٌ من خـيرة رجَـال الوَزارة، وصَفـوة من المعلِّمينَ المتميِّزين. وكانَ الاعـتمادُ الماليُّ المخصَّصُ قرَابةَ ثَلاثَة مَلايين ريَال، ولكنْ ينقصُ تلـكَ الحَملات الجانبُ الإعلاميُّ، وعدمُ التَّركيز علَيه.

وحينَ زرْنَا تلكَ الحـملَةَ وجـدْناها في مَكان قَـصيٍّ عَن إحـدَى المُـدن الكُبـرى، ووصـلْناها بالسـيَّارة بعـدَ ثَلاث سَـاعات، حـيثُ لَم يُعبَّـدْ طريقُها بعـدُ في ذلكَ الوَقت، وقَد كانَ الأهَالي مسرورينَ بتـلك الحملة. وتوقَّفْنا عندَ مَجـموعة

من كبَار السِّنِّ يتلقَّونَ دُروساً في القُرآن الكَريم. وبعـدَ أنْ شاهدُونا بينَهم وقفَ أحـدُ الدَّارسينَ، وحـيَّا ورحَّب، وقـالَ: إنِّي أريدُ أنْ أتكلَّم باسم الأهَالي. فـأذنتُ لَه. وعندَ ذلكَ صـارَ يقفـزُ يمنةً ويسـرةً، وأعلَى وأسفلَ حـتَّى خلتُ أنَّ به مَسـاً من الجُنون، ثُم قـالَ: مـرحَـبـاً بكُم فـي بَلدَتنا، مَرحَباً بكُم، لقَد تعلَّمنا، مَرْحباً بكُم، ثم مرحباً.

إنَّكم سـتقـولونَ: لماذَا نسكنُ بهَـذه المنطقَـة، حيثُ لا مـاءَ ولا شجرَ، وإنمَـا جبالٌ وحـجرٌ؟! ونقـولُ: إنَّ اللـهَ يومَ خلقَ الأرضَ خـلقَ لهَـا رجالَهَا وأحـجارَها وجبالَهـا، ونحنُ رجالُ هذَا الوَادي، تعلَّقْنا به تعلُّقَ حجَـارَته، وأحببْناه حبَّ

أوْلادنا، فلا تستغربُوا بقاءَنا؛ فلكلِّ أرْضٍ أهلُها، ولكلِّ منطقَة سكانُها.

ثُم قالَ: سوفَ أقرأُ علَيكم شيئاً ممَّا أحفَظُه. قلتُ لَه: تفضَّلْ.

قالَ: قريشٌ[1] ومَا أدراكَ ما قريشٌ، لقُريش رحلةٌ بالشِّتاء، ولقُريش رحلةٌ بالصَّيف.

واسترسلَ في القَول، وازدادَتْ حركَتُه، وقَد ابتعدَ رفَاقي في الرِّحلة؛ حيثُ لَم يتَمالَكوا أنفسَهُم من الضَّحك؛ فقَد كانَ المَشْهَدُ مُثيراً، والمنظرُ مُضحكاً. وقَد تمالكتُ نَفسي، وضَغطتُ علَى مشَاعري، فلا أريدُ إحراجَ الرَّجُل،

(١) يريد قراءة سورة (قريش).

وأخشَى أنْ أضحكَ فيستاءَ، وأنْ أطربَ فيهتزَّ. كيفَ لا ورفاقُه يؤيدونَ كلامَه، وأصحابُه يباركونَ إلقاءَه ويتمايلونَ؟!

ثُم قالَ: اسمَعْ يا وكيلَ الوَزارة، التح[1] علَى محمَّد، التح علَى موسَى، التح علَى عيسَى، التح عَليهم كُلّهم.

قُلتُ: يَكفي يَكفي، فلَم أعُد أتحمَّلُ الموقفَ، وأريدُ أنْ أضحكَ ولا أستطيعُ الثباتَ، والموقفُ مُحرجٌ. والتفتُّ فإذَا بالإخوَة الزُّملاء يُغالبُهم الضَّحكُ، وقَد ابتعَدوا عَن المكَان، وصارَ كل واحد منهم يُطَأطئُ رأسَه، ولا يَنظرُ للآخَر كَي

(١) يقصد قراءة التحيات في الصلاة.

لا تَعلُوَ أصواتُهم، ويزدادَ ضحكُهم.

وقطعتُ الموقفَ بأنْ طلبتُ من معلِّمهم أنْ يضاعفَ لَهم الجهدَ، وأنْ يصحِّحَ لَهم الخَطأَ، وأنْ يقوِّم لهُم المعوجَّ. وخرجتُ من عندهم مسرعاً، ثُم اجتمَعْنا بأولئكَ القائمينَ علَى تلكَ الحَملة، وأكَّدْنا عَلى تَصحيح تلكَ الأخطَاء ومعالجَة ذلكَ الجَهل، ودعَوْنا لهم بالتَّوفيقِ والنجاحِ.

١٢- هفوة معلم

وجدتُ بينَ الأوراَق ذاتَ يَوم، قضيةً لأحَد المعلِّمين، حيثُ قامَ بإركَاب مجهولينَ بسيَّارَته، وحاولَ إيصالَهم إلى مكةَ المكرَّمَة، وليسَ لدَيهم هوياتٌ، وأحسَبُهم من المتسلِّلينَ.

وقَد تمَّ إيقافُه من قبَل رجَال الأَمن، وسُجنَ وحُوسبَ، ثُم أُرسلَتْ أوراقُه للوَزارة بصَفته من موظَّفيها.

وجَرَى دراسةُ القضيَّة في الإدارَة القانونيَّة واللِّجان الخاصَّة، ورأَوْا مُجازاةَ المَذكُور بالإنذَار، وعُرِضتْ للاعتمَاد.

وقَد تأمَّلتُ المعاملةَ، وقرأتُ القضيةَ،

وساءَني تصرُّفُ المَذكورُ؛ فهُو معلِّمٌ ومُربٍّ، ورأيتُ أنْ لا نَكتَفيَ بخطَاب إنذَار، وإنَّما يلزمُ مخاطبةُ مَشَاعره، وتحريكُ عَواطفه، وهَزِّ وجْدانه؛ فهوَ جزءٌ من المُجتمَع، وواحدٌ من آلاف المُربِّين. وهَمُّ القيَادة التَّعليمية تَوجيهُهم، وإرشادُهم، ولهَذَا كتبتُ لَه الرِّسالةَ التاليةَ:

لأخِي الأستاذِ (ع.م.ع) وفَّقَه اللهُ

السلامُ علَيكُم ورحمةُ اللَّه وبَركاتُه، وبعد.

اطَّلعتُ هَذا اليَوم ـ ٢٨/ ٧/ ١٤١٦هـ ـ علَى معامَلَة خاصَّة بكَ بشَأن إركَابكَ لمجهولينَ، حيثُ حُوسبتَ، ونالَك ألمٌ، ومسَّتْكَ معاناةٌ.

وإنَّ الجزاءَ والعقوبةَ ليسَا هدفاً، ولكنْ أنتَ

معلمٌ وَمـرَبٍّ، تُدرِّسُ الفضيلـةَ، وتُعلِّمُ الأمانةَ، أنتَ قُــدوةٌ لـطُلابكَ، فكـيفَ يكونُ مـنكَ هذَا التصرُّفُ؟! وكيفَ يحدثُ منكَ هذا الخَلَلُ؟!

إنِّي أُخاطبُ عقلَـك ووجدانَك؛ فأنتَ رجلُ أمْن وحَارسُ وطَنٍ، فلا تَضعُف أمامَ أيِّ طارئٍ.

أمْنُ الوَطن مسؤوليتُنا جميعاً، ونحنُ ـ رجالَ التربيَة ـ نعلمُ القيمَ، ويجبُ أنْ نكونَ حُراسَها.

ولكَ يا أخِي تحيَّاتي ودعائي.

أخوك/ وكيل الوزارة

هذَا ولقَد هاتفتُ مـديرَ التَّعليم وناقَشـتُه في الأمْرِ، وتـفاهمتُ مـعَه حـولَ استدعَـاءِ المدرِّسِ

المَذكـور إلى مَـكتَـبـه، وقـراءَة رسَـالَتـي عَليـه وتَسليمها لَه.

وأرجُـو أنْ يكونَ ذلكَ المعـلمُ قَـد اسـتـفـادَ وتأثَّرَ.

العبيكان للاستثمار
Obeikan Investment Group

إحدى شركات

العبيكان للنشر
Obeikan Publishing

أحدث الإصدارات

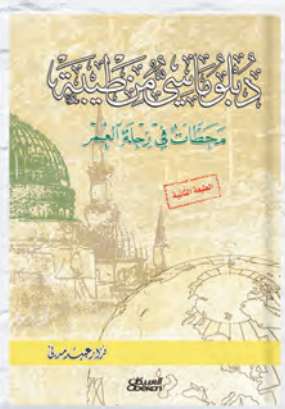

Follow Us
obeikn reader
obeikanpub

كتبنا الصوتية
storytel
Kitab Sawti
www.kitabsawti.com
دار صدى للنشر الإلكتروني
Ehad Audio Publishing
WWW.EHAD.SA

كتبنا الإلكترونية
Google Play
amazon kindle

لخدمات البيع والتوصيل
سوق
أحدى شركات amazon
رواق
نون noon

١٣- قضيَّة وحِوار

القسـوةُ في التَّعليم منهجٌ خـاطئٌ، وأسلوبٌ ناقصٌ. وتمـنعُ الوزارةُ الضـــربَ بكلِّ أشـكَاله وألوانه. ومـعَ ذلكَ يردُ للـوَزارة تجـاوزاتٌ من بَعض المعـلِّمين. وتُدرسُ تلكَ المخـالـفـاتُ من قبَل اللِّـجان والأقسَـام المتخـصِّصة، ثُـم تُعرَضُ علَى المسـؤول للمـوافـقَـة علَى مـا يُقـتَـرَحُ من عقُوبةٍ.

وذاتَ يَوم وصلَـتني قـضـــيـــةٌ للمـــعلِّم (ع.ع.ث)، وتتلخَّصُ القضيةُ في قيَام هَذا المعلِّم بضَـرب طالبَين بالصفِّ الثَّـاني الابتدائيِّ، وقَـد اقترحَت اللجانُ الحسمَ عَليه.

ولكنَّ المعاملةَ استوقـفَتْني؛ حيثُ وجدتُ أنَّ الضـربَ لطُلاب صـغَــار. ودرستُ القـضـيـةَ وتأمَّلتُ الأوراقَ، ونظرتُ لمُرفَقاتها البَالغة اثنتَين وثلاثينَ ورقةً، وأعدتُ المعاملةَ بالتَّوجيه التَّالي:

الإخوةُ/ أعضاءَ لجنةِ القضَايا رعاهُم اللهُ

بالاطِّلاع عَلى المُعاملة ومُرفقَاتها تبيَّنَ أنَّ هذَا المعلِّمَ علَيه الملاحظاتُ التاليةُ:

أولاً: سـبقَ الحسمُ علَيـه بسبَب الضَّـرب في عَام ١٤١٢هـ.

ثانيـاً: حـسمَ علَيـه بسبَـب الغيـاب في عَـام ١٤١٢هـ.

ثالثا: سريعُ الانفعَالِ.

رابعـاً: يلاحَـظُ علَيـه عـدمُ الجـدِّية، وعـدمُ الانضبَاط.

خامساً: يُلقبُ الطلابَ بألقابٍ لا تليقُ.

سـادسـاً: الطالبـان المضـرُوبان صَـغـيـران، بالصفِّ الثَّاني الابتدائيِّ.

سـابعـاً: طرحَ الطالـبَ (ن) علَى الأرْض، ووضعَ قدمَه علَى ذرَاعه.

هلْ هَذا مـرب؟! هَل يقـبلُ أيٌّ منكُم ـ أعـضـاءَ اللَّجنَة الكرَام ـ أنْ يُلقَى ابنُه الـصَّغـيـرُ عَلى الأرْض بهذَا المشهَدِ المُؤلمِ المؤثِّرِ؟!

هذَا المُعلمُ لا يجوزُ أن يُدرِّسَ بالمَرحَلة الأوَّليَّة، ويا ليتَ أنَّه يُنقلُ إلى المرحَلة الثانويَّة، فلَن يتمكَّنَ من هَذه المُصَارعة غَير المتكافئة؟

لكنْ ربَّما كانَ مؤهِّلُه لا يسمحُ له بالتَّدريس في تلكَ المرحَلة، ثُم إنَّ الحَسمَ لَيسَ علاجاً، ولن يردعَ؛ فالسَّوابقُ تتكرَّرُ. أعيدُوا النَّظرَ. ولكُم تحيَّاتي وتَقديري.

وذهبَت المعاملةُ، ودُرستْ مرةً أخرَى، ثُم عادتْ باقتراَح آخرَ، وهُو نقلُه إلى مدرسَة بَديلة؛ حيث يتعذَّرُ تحويلُه إلى المرحَلة الثانويَة؛ فمؤهِّلُه ـ كمَا توقَّعتُ ـ لا يسمحُ بذلكَ، كمَا لَم تُوجَد القناعةُ لإبعَاده عَن التَّدريس؛ فهوَ

يُنكرُ طَرحَه للطَّالب، ويَذكرُ أنَّه مبالَغٌ في الرِّوايةِ.

وقَد اعتمدتُ ما وردَ.

ولأنَّ المعلمَ يهمُّني صلاحُ مَنهَجه، وطَريقةُ تَدريسه فقَد رأيتُ مخاطَبة مَشاعرِه، وتحريكَ عَواطفِه، فذلكَ أبلغُ.

ولهذَا كتبتُ لَه الرِّسالةَ التَّاليةَ بخطِّ يَدي، وطلبتُ من مُدير التَّعليم استدعاءَه في مكتَبه، وقراءَة الرِّسالةِ عَليه، وتَسليمَها لَه.

تقولُ الرسالةُ:

أخِي الأستَاذ (ع.ع.ث) رعاهُ اللهُ

السلامُ عليكُم ورحمةُ اللَّه وبركَاتُه، وبعدُ:

لقَـــد اطَّلَـعتُ هـذَا اليـــومَ ـ الســـبتَ ٨/ ٨/ ١٤١٦هـ ـ على المُعَامَلة الخـاصَّة بقضـيَّة ضَـربك للطَّـالبَين: (م.ن ، و/ د.ش)، وأفـيـدُك أنَّها سبقَ أنْ عُـرضَت عليَّ قبلَ شَهر تَـقريباً، ثُم عــادَت إليَّ مـرةً أخــرَى، ودارَتْ بينَ أروقــةِ الوزارةِ.

أَخي الكريمُ، ليـسَت العـقوبةُ هدفـاً، وليسَ الجـزاءُ غـايةً؛ فـأنتَ زمـيلٌ وأخٌ تحـملُ أشـرفَ رسَالَة، لـكنَّ القسوةَ في الـتَّعليم والخُشـونةَ في التَّربية مَنهجٌ خـاطئٌ، وأسلوبٌ عقيمٌ، أنْأَى بكَ عَنه.

أخِي العـزيزُ، الطالب (ن) في الصَّف الثَّـاني الابتدائـيِّ، ولعلَّه في السَّابعـة من عُمـره، كيفَ تضـربُه بالعـقَال، وتَرمـيـه علَى الأرْض، وتضعُ رجلَك علَيه؟!

أخِي الفاضلُ، حـبِّب الطلابَ إليكَ، وشوِّق الفتيانَ لمادَّتك، واقرَأ قولَ شَوقي مَرةً وأُخرَى:

أحْـبِـب الطفلَ وإنْ لَـم يكُ لَكْ

إنَّمـا الـطفلُ علَـى الأرْض مَلكْ

هَـو لُطـفُ اللَّـه لَو تـعـلمُـــه

رحمَ الـلهُ امـــرَأ يرحـــمُـــه

عطـفـــةٌ منه علَـى لعـــبَـــتـــه

تخـــرجُ المحـــزونَ مـن كُـــربَتـــه

وحـديثُ سـاعَـة الـضِّـيق مـعَـه

يملأُ العـــيشَ نعـــيـمـــاً وسَـعـــة

ولكَ أيُّهـــا الزمـــيلُ تحـيَّـــاتي ودُعـــائِي لكَ بالتَّوفيقِ.

أخوك/ وكيل الوزارة

وبعدَ مُدة وصلتْني من المعلِّم المَذكور الرسالةُ التَّاليةُ.

لأسـتَاذي الفَـاضل، وأَخي الجَليـل، سَعـادةَ

الدُّكتور عَبد العَزيز الثُّنيَّان حفظَه اللهُ

السلامُ عليكُم ورحمةُ اللَّه وبركَاتُه

لقَد كانَ لرسَالتكم التَّوجيهيَّة أعمقُ الأَثَر في نَفسي، وسعدتُ وتشرَّفتُ بهَا، وستكونُ من محفوظَاتي وذكريَاتي التي أعتزُّ بهَا، رغمَ أنَّ واقعَ القضيَّة التي أشرتَ إليهَا وحقيقتَها يُغايرَان المعاملةَ التي أستشفُّ ما جاء بهَا من حَديثكم؛ فأنَا ـ إنْ شاءَ اللهُ ـ ابنُكم المخلصُ، وأخُوكم الصغيرُ ـ لم تَصل بي الحالُ لدَرجة استخدَام الأقدَامِ كعمليَّة تربويَّة، وبعدَ رسَالَتكم القيِّمة قَد لا يفيدُ تكرارُ ما قلتُه في إجابَة سابقَة من أنَّ الذي حصلَ للطالب (ن) هو مسحُ كَتفه أمامَ

زُملائه كعمليَّة تأنيبٍ لَه لِمَا حصلَ من قَذفِه زُملاءَه بالحجَارة.

وخلاصةُ القَول أنَّ هذَا التوجيهَ الكريمَ سيكونُ أمامَ ناظرَيَّ، أستمدُّ منه بعدَ اللَّه منهجاً يحببُ الطلابَ ـ كمَا ذكرتَ ـ ويشوِّقُهم، وقبلَ هذَا وذاكَ يُرضي المولَى القديرَ ـ سبحانَه وتعالَى ـ ويريحُ الضميرُ، ونؤدِّي بمُوجِبه الأمانةَ علَى الوَجه الأكمَل إنْ شاءَ اللهُ.

يا صاحبَ السَّعادة، لقَد قالَ المثقّبُ العَبْديُّ:

وكلمةُ حاسدٍ من غَيرِ جُرمٍ
سمعتُ فقلتُ مُرِّي فانفذِيني

وعَـــابوهَـا عليَّ ولَـم تعِـــبْنِي

ولَم يعــرقْ لهَــا يومــاً جَــبِــينِي

ومَـا مِن شِـيـمَـتي شـتمُ ابنِ عـمِّي

ولا أنَا مـــخلـفٌ مَن يَرتَـجــيـنِي

وذُو الوَجــهَين يلـقَــانِي طَليــقــاً

ولـيسَ إذَا تـغـــــيَّـبَ يأتَـلِـينِـي

بصــرتُ بعَــيــبـه فـكفـفـتُ عَنه

مــحـافـظةً علَى حــسَـبـي ودِينِي

واسـمَحْ لي يا صـاحبَ السـعـادَة أنْ أتقـدَّمَ بخَالص شُكري وعَظيم تَقديرِي لسعادَتِكم.

وتفضَّلوا بقَبُولِ وَافِرِ احترَامي، وأطيَبِ تحيَّاتِي.

المخلصُ

ابنُكم (ع.ع.ث)

ولقد أبهجَني هذَا المعلمُ بمَشاعرِه ومخَاطَبتِه لي بالأخِ والصَّديقِ.

وأرجُو أنْ يكونَ الأمرُ كمَا ذكرَ، وأنَّ في الرِّواية مبالغةً.

إنَّ المعلمينَ إخوةٌ وأصدقاءُ، وأحبةٌ وأصحابٌ، نخاطبُهم ونحاورُهم، ونراسلُهم ونكرمُهم. وفَّقَهم اللهُ وأنارَ لَهم طريقَ الهُدى.

١٤- دمعَة أَب

الناسُ أسرارٌ، والرِّجالُ مواقفُ. وفي يَوم الأربعَاء، المُوافق ٢٨/ ٢/ ١٤١٦هـ، وجدتُ أخاً بينَ المراجعينَ، عرفتُ من نظرَاته أنَّه يريدُ محادثَتي على انفرَاد، فتركتُه حتَّى انتهيتُ من استقبَال ذَوي الحاجَات، ثم خَلوتُ به، وفجأةً وقبلَ الحَديث أجهشَ بالبُكاء، وذرَف دمعةً تلوَ أخرَى. وكنتُ أعرفُه رجُلاً جَلداً، لا تهزُّه النائباتُ، ولا تحركُه الجائحاتُ، وليسَ فيه ضَعفٌ ولا خَورٌ، وهُو من رجَال البَادية الأشدَّاء، ومن الأعرَاب الأقويَاء، صهرَتْه الشَّمس بحرَارتها، وعركَتْه الصَّحراءُ بقَسوَتها،

وتنقَّلَ من بَلدة إلى أخرَى، وجمعَ البَداوةَ والحضارةَ، والفصاحةَ والكرامةَ. وقد هالَني مَرآه، وساءَني مَبْكاه، وتساءلتُ هَل ما أراهُ حقيقةٌ أم خيالٌ؟ وهَل هَذا صاحبُنا الذي نعرفُ قسوتَه وحزمَه، ونعلمُ رجولتَه وخشونتَه؟

وبعدَ هُنَيْهَة تمتَمَ، وقالَ: ابنَتي ابنَتي! فزادَ اضطرَابي، وعظمَ قَلقي، وأسرعتْ بوادرُ الشرِّ، ولاحَتْ ومَضاتُ السُّوء، وتلاحقَ الخَيالُ، وتوالَى السُّؤال، ولَم أجرُؤْ على القَول، فقَد تلعثمَ اللسانُ، ووقفَ البيانُ، ثُم جمعتُ قُوايَ وقُلتُ: هوِّنْ علَى نَفسك، وخفِّف من قَلَقك يا أبا... لكن ما اسمُ الولَد رعاكَ اللهُ؟ قالَ وقَد

خفَّ نحيبُه: ليسَ لي ولدٌ أكَنَّى به، وإنَّما لي هَذه الفتاةُ؛ فهيَ وَحيدَتي وأَنيسَتي، وهي سَلوَتي وسُروري، وهيَ مَالي، وهيَ فُؤادي، وهيَ بصَري الذي أبصرُ به، وهيَ قَلبي الذي أهتَدي به.

قلتُ: ما لَها؟ خيراً إنْ شاءَ اللهُ؟ قالَ: إنَّها بخَير؛ لكنِّي أولَ مرَّة أبْكي، ولَن ألومَ الباكينَ بعدَ اليَوم، ودَعْني دَعْني أفرجْ همِّي، وأنفِّسْ كُربَتي؛ فهَذه المرةُ الأُولَى التي أجهشُ فيهَا بالعَبَرات، لكنْ عُذراً عذراً، ورفْقاً رفْقاً، فواللَّه ليسَ ذاك خَوَراً ولا ضَعْفاً، فلقَد شهدتُ الأحزانَ، فكنتُ بينَهم الجَلدَ الصابرَ، وحضرتُ

المآسيَ فكنتُ لدَيهم الصَّلدَ القاسيَ، ماتَ أحبَابي فمَا ذرفتُ دمعةً، ورحلَ رفَاقي فمَا سكبتُ قطرةً، لكنِّي أعجبُ كيفَ غابَ التجلُّدُ الآنَ فصرتُ طفلاً؟! سبحانَك ربِّي! ما أجَلَّكَ!

قلتُ يا صَاحبي: لا لومَ ولا تثريبَ؛ فأنتَ أبٌ، وحَالي كحَالك؛ فلقَد أبكَتْني أُبُوَّتي مراراً، وهزَّتني شفَقَتي تكراراً. وللَّه دَرُّ الشَّاعر الأَميريِّ حينَ قالَ:

هَيْهَاتَ هَيهاتَ ما كلُّ البُكاء خَوَر

إنِّي وَبي عَزمُ الرِّجال أَبُ

قالَ: إنَّ ابنَتي نجحتْ في الثانويَّة العامَّة، وأريدُ لَها قَبولاً في إحدَى الكُلِّيات، ولَم

أستطعْ. وظلَّت الصبيَّةُ ليلةَ البَارحة باكيةً، فأبكَتْني، وأَرِقَتْ شاكيةً فهزَّتْني، ولَم أَنَم لَيلي، وأصبحتُ قَلقاً حائراً لا أعلمُ مَا أفعلُ؟ ولا أدري إلى أين أتوجَّهُ؟ كنتُ أمْشي وأقُولُ: خُذوا نِصفَ مَالي واقْبَلُوا وَحيدَتي، وأُحدِّثُ نَفسي، وأُنَاجي فُؤادي، حتَّى أنِّي كنتُ أنظرُ إلى مَن حَولي؛ فلرُبَّما سَمعُوا مُناجَاتي وحَسبُوني مُوَسْوِساً، وظنُّوني مَجنوناً. وقصدتُك، أريدُ عَونَك، وأطلبُ جاهَك، وأنشدُ دعمَك، وأرجُو أنْ تحدِّثَ هَذا، وتُحادثَ ذاكَ؛ علَّهم يَقبلونَ شفاعَتَك، ويستجيبونَ لطلَبك؛ فلقَد كُنْتَ بالأمْس الرَّجلَ الَّذي بتُّ أفكِّرُ في دَعمه. وهأنذَا بينَ يدَيك، وتلكَ حكَايَتي، ويَقيني أنَّك

ستعجبُ من ضَعفي، وكُنْتَ تَعلمُ قُوَّتي، وستحارُ من وَجَلي وأنتَ تعلمُ يَقيني، لكنَّها الأيَّامُ، واللهُ المستَعانُ.

وقد خفَّفتُ من آلامه، ووعدتُه خَيراً، وبذلتُ وتكلمتُ، وألحَحتُ ورجَوتُ، وتحقَّقَ الأملُ وَتمَّ الرَّجاءُ.

أحدث الإصدارات

Follow Us
obeikn reader
obeikanpub

كتبنا الصوتية
storytel
Kitab Sawti
www.kitabsawti.com
دار ضاد للنشر الإلكتروني
Dhad Audio Publishing
WWW.DHAD.SA

كتبنا الإلكترونية
Google Play
amazon kindle

لخدمات البيع والتوصيل
سوق
أحدى شركات amazon
رواق
noon

١٥- مأساة طَالِب

في يَوم من الأيَّامِ التي قضيتُها في إدارَة التعليمِ بالرِّياض، وبعدَ الساعَة العَاشرة صباحاً، وبينَما كنتُ أتأمَّلُ المُعامَلات، وأنظُرُ في الملفَّات، الواَحد إثرَ الآخَر، أدخلَ مديرُ مكتَبي خطاباً موقَّعاً من طالبٍ يعرضُ فيه مأساتَه، ويُصوِّرُ فيه حيرتَه.

وقرأتُ ذلكَ الخطابَ فلَم أصدِّقْ ما قرأتُ، ونظرتُ فلَم أَقبلْ مَا عرَفتُ، إنَّه طالبٌ يشكُو والدَه الذي منعَه الالتحَاقَ بالمَرحلة الثانويَّة بعدَ أنْ أنهَى المرحَلَةَ المتوسطَةَ. وقد رزقَ اللهُ ذلكَ الطالبَ مَلَكةً بيانيةً مؤثِّرةً، فصاغَ رسالتَه بأسلُوب عاطفيٍّ رَقيقٍ، وعرَضَها بخطٍّ جَميل،

وختمَ رسالتَه بالدُّعاء لوَالده أن يعطفَ علَيه، وأن يغفرَ له كُلَّ قُصُور، وأنْ يسامحَه عن كلِّ تجاوُزٍ.

وقلتُ في نَفسي: لعلَّ الخطابَ كُتبَ لهذَا الطَّالب. وقبلَ أن أسمحَ لَه بمقابلَتي هاتفتُ مديرَ المَدرسَة المتوسِّطة التي نجحَ فيها، وسألتُه عَن هذَا الطَّالب، وأخبرتُه أنَّه موجودٌ في مكتَبي. فأبلغَني ذلكَ المديرُ بمَعرفَته بالمشكلَة، وأنَّ الطالبَ متميزٌ، وأنَّ له معاناةً وحسرةً معَ أَبيه، وطلبتُ من مُدير المدرسة أنْ يزورَني في المكتبِ بعدَ صَلاة الظُّهر ليشرحَ الأمْرَ.

ثُم أدخلتُ الطالبَ، وكانتْ رسالتُه صورةً لَمنظَره؛ فقَد كانَ غَضاً، ولعلَّه في السادسةَ عشرةَ

من عُـمره. وآلَـتني مسـحـةُ الحُـزن التي تُجلِّلُه، وأدمَتْ فُؤادي عينَاه الدَّامعتَان، وجرحَتْ كَبدي آهاتُه التي يردِّدُها، وعـجـبتُ من هُدوئه ورقَّتـه، وفَطانَته ونُعومَته.

وحينَ نظرتُ إلَيْه أطرقَ خَجلاً، وطَأطأَ رأسَه شـاكـيـاً، وناجَى قَلـبي فـؤَادُه، وتمثَّلـتُ بقَـول الرَّصافيِّ:

فلمَّـا شَـجـاني[1] حـالُهُ وأفـزَّني
وقــفتُ وكُلِّي مَــجْــزعٌ وتوجُّعُ
ورُحتُ أُعــاطـيــه الحنانَ بـنَظرةٍ
كـمَـا راحَ يرنُو العـابدُ المُتـخَـشِّعُ
وأفـتحُ طَرْفي مُـشْـبـعـاً بتـعطُّفٍ
فـيرتدُّ طَرفي وهْوَ بالحُـزْن مُشـبعُ

(١) شجاني: أحزنني.

هناكَ علَى مَـهـلٍ تقـدمتُ نحـوَهُ

وقلتُ بلُطْـفِ قـولِ مَنْ يتـضـرَّعُ

أيا بن أخي مَنْ أنتَ ما اسـمُك ما الذي

عَراكَ[1] فلَم تفرحْ فهَل أنتَ مُوجَعُ

ثُم سألتُـه لماذا قسَا والدُه عَليـه؟! ولماذا منعَه مـواصلَةَ الـتَّـعليم؟! ولكي أتأكَّــدَ من أسلُوبه وخطِّه وبيَانه، أعطيتُه ورقـةً بيضاءَ، وطلبتُ منه أن يعيدَ كتابةَ الاستدعَاء الَّذي قدَّمه مرةً أخرَى، فجلسَ ذلكَ الفتَى الحزينُ، وكتبَ الموضوعَ مرةً أخرَى بخطٍّ أجملَ، وبأسلوبٍ أحسنَ، ثم سلَّمَه ودموعُه تتقاطرُ، وآهاتُه تتوالَى.

---

(١) عراك: أصابك.

وقالَ إنَّه يحبُّ والدَه، ويعطفُ علَيه، ولكنَّه شيخٌ مغلوبٌ علَى أمْره؛ فزوجةُ أبيه قاسيةٌ ومستبدَّةٌ، وهيَ السببُ في مَنعه من الدِّراسة؛ حيثُ تريدُ أنْ يبقَى خادماً في البَيت، وإنَّها تَغارُ من تفوُّقه ونُبوغه؛ فأبناؤُها الذينَ هم إخوتُه من الأب يتكرَّرُ رسوبُهم، ويسوؤُها ذلكَ.. وصارَ يَروى معاناتَه من زوجَة أَبيه وتسلُّطَها علَيه، وإيقاظَها لَه قبلَ صَلاة الفَجر لإحضَار الخُبز، بينَما إخوتُه الذين يقاربُونَه في السنِّ ينامُونَ، لكَونهم أبناءَها. وتحدَّثَ عن كَذبها على أَبيه، وإيغَارها صدرَه علَيه، وأنَّها تأمرُه بتنظيفِ المطبخِ، وغسيلِ الملابسِ، وريِّ حديقةِ المنزلِ.

وحاولتُ أنْ أسألَه عَن أمِّه، لكنَّ القلقَ

منعَني، والرَّحمةَ صدَّتْني، فقَد خشيتُ أنْ تكونَ الحبيبةُ قَد رحلتْ عَن هَذه الدُّنيا، ولا أريدُ نَكْثَ جـرَاحه، إلا أَنَّه كـانَ لَمَّاحـاً؛ فكأنَّه قرأَ سُـؤالي، وعرفَ ما بخَاطري؛ ولهذَا أسرعَ، وقالَ: إنَّ أُمِّي بخَير وحيّةٌ ترزقُ، لكنَّها مطلَّقةٌ من أَبي. واسمحْ لي أنْ أقرأَ عليكَ قولَ الشَّاعر الرَّصافيِّ في امرأةٍ مثلِ أمِّي. قلتُ لَه: تفضَّلْ. فقالَ:

منـزَّهةٌ عَن الـفَـحـشَـاء خَـوْدٌ
من الخـفـرَات آنسـةٌ عَـرُوبُ[1]
نوارٌ تـسـتـجـدُّ بـهـا المعـالي
وتبلَى دونَ عـفَّـتـهـا الـعُـيـوبُ[2]

(١) الخود: المرأة الشابة. الخفرات: جمع خفرة. وهي المرأة التي تستحي أشد الحياء. الآنسة التي يؤنس بحديثها. العروب: المرأة المتحببة إلى زوجها.

(٢) النوار: المرأة النفور من الريبة.

أصابَتْ من شَبيبَتها اللَّيالي
ولَمْ يُدرك ْذُؤَابتَها المَشيبُ[١]
حَليلة طَيِّب الأعراَقِ زالت
به عَنها وعَنه بها الكُروبُ
رعَى ورعَت فلمْ ترَ قطّ منه
ولَم يرَ قط منها ما يُريبُ
وطلَّقها علَى جَهل ثَلاثاً
كَذلكَ يجهلُ الرجلُ الغَضوبُ
فبانَت عَنه لَم تأتِ الدَّنايا
ولَم يعلَقْ بهَا الذَّامُ المَعيبُ[٢]

(١) الذؤابة: الناصية وهي مقدم الرأس.
(٢) بانت: بعدت، الذام: العيب.

فظلَّتْ وهْيَ باكيـــــةٌ تُنادي
بصَـــوتٍ منه تَرتجفُ القُلوبُ
لماذَا يا نجيبُ صَرَمتَ حَبلي
وهَل أذنبتُ عندَك يا نجيبُ[1]
وما لَكَ قد جَفوتَ جفاءَ قال
وصرتَ إذا دعوتُكَ لا تُجيبُ[2]
أبِنْ ذنبي إليَّ فَدَتْكَ نَفسي
فَإني عَنه بعدَئذٍ أتُوبُ
أمَا عاهَدتَني باللَّه أنْ لا
يُفرِّقَ بينَنا إلا شعُوبُ[3]

(١) صرمت: قطعت.
(٢) قال:مُبغض.
(٣) شعوب: اسم للموت.

لئنْ فارقتَني وصددتَ عَنِّي
فقَلبي لا يُفارقهُ الوَجيبُ[١]

ومَا أدماءُ ترتعُ حولَ رَوضٍ
ويرتعُ خلفَها رَشَأ رَبيبُ[٢]

فمَا لفتَتْ إلَيه الجِيدَ حتَّى
تخَطَّفَهُ بآزمتَيه ذِيبُ[٣]

فراحَتْ من تَحَرُّقها علَيه
بداء ما لَها فيه طَبيبُ

تَشمُّ الأرضَ، تطلبُ منه ريحاً
وتنحبُ والبُغامُ هُو النَّحيبُ[٤]

---

(١) الوجيب: الخفقان.

(٢) الأدماء: الظبية المشرب لونُها بياضاً. الرشأ: ولد الظبية الذي قد تحرك ومشى. ربيب: ملازم لها.

(٣) الجيد: العنق. آزمتيه: نابيه.

(٤) تنحب: تبكي. البغام: صياح الظبية إلى ولدها.

وتمزَعُ في الفَلاة لغَير وَجهٍ
وآونةٍ لمصرَعه تثوبُ[1]
بأجزعَ من فؤاديَ يومَ قالُوا
برغمٍ منكِ فارقَكِ الحبيبُ

وبعدَ أن فرغَ من إلقَائه طأطأَ رأسَه، وانسكبَت دموعُه. ولقَد تأثَّرْتُ بالموقف أيّما تأثُّر، وحزنتُ أشدَّ الحُزنِ، ولكنَّني غالبتُ أحزَاني، وكتَمتُ مشَاعري، وطمأنْتُ الفتَى، وهدَّأتُ من رُوعه، واعتذرْتُ لَه عن أَبيه؛ فوالدُه ـ كمَا روَى ـ كبيرٌ في السِّنِّ، وزوجةُ أبيه ـ وإنْ قسَت عَليه ـ فهيَ جاهلةٌ، وعلَيْه الصَّبرُ والتَّحمُّلُ؛ فهوَ الرَّجلُ.

(١) تمزع: تُسرع. لمصرعه: لمكان هلاكه. تثوب: ترجع.

وهنَّأتُه بطُموحه، وباركتُ لَه تفوُّقَه، ووعدتُه بحلٍّ مُشكلَتـه التَّعليمـيَّة، وأخبـرتُه أنِّي سأتَّصلُ بوَالده، وأمَرتُه أن يراجعَني بعدَ أُسبوعٍ.

وحينَ خرجَ الطالبُ لَم أستَطع العمَلَ، ولَم أتمكَّنْ من النَّظـر في المُعـامـلات؛ فلِي عـواطفُ ووجدانٌ، وأنَا أبٌ ومـسؤولٌ. وخَلوتُ بنَـفسي في غُرفَـة الاجتمَـاعات، وصرتُ في حَـيرَة من أمْري، واسـتخَـرتُ اللهَ، وعَزَمتُ عـلَى معـالجَة هَذه الحَـالة الإنسـانيَّـة التي أدمَتْ فُـؤَادي، وجـرحَتْ عَـواطفي، وظلَّتْ ذكـرَاها باقـيةً في مشَاعري. وها أنَا أقصُّها عليكَ ـ أخي القارئُ ـ وأرْويها لكَ ـ أخي المتـأمِّلُ ـ لكيْ تعرفَ مـعاناةَ المسؤُول، وهُمومَ مَن هُو في مَوقع المَسؤوليَّة.

وبينَمَـا أنَا في حَـيـرة من أمْـري إذا بمُدير

المدرسَـة المتوسِّطة التي كـانَ يدرسُ بهَـا ذلكَ الطالبُ قـد حضـرَ، ودارَ بَيني وبينَه الحوارُ التَّالي:

قـــلـــتُ: لقَد سـمعتُ هذَا اليـومَ من الطَّالب الَّذي حـــدَّثْـتُك بشـــأنه مـــا آلَمَني وساءَني!

قـالَ المديرُ: لقَد صدقَ في كلِّ مَا قالَه.

قـــلـــتُ: وماذَا تعرفُ عَنه؟

قـالَ المديرُ: إنَّـه طالـبٌ ذكيٌّ، وهـادئُ الـطَّبـع، ومتفوِّقٌ على زُمَلائه.

قـــلـــتُ: ولماذَا يقسُو علَيه والدُه؟

قـالَ المديرُ: إنَّ البلاءَ والسُّوءَ من زَوجةِ أبيه.

قـــلـــتُ: وكيفَ عرفتَ؟

قـالَ المديرُ: إنَّها تتصلُ بنَا فـي المدرَسة بالهَاتف، وتشتَكي منه، وتذمُّه وتعيبُه، وتطلبُ منا أن نوبِّخَه، وأن نضربَه.

قـــلـــتُ: وماذَا كانَ رأيُكم؟!

قـالَ المديرُ: كنَّا نزجـرُها، ونخـبرُها أنَّه مـؤدَّبٌ، وأنَّه هادئٌ ومـتفـوِّقٌ. وكاَن كـلامُنا يسوؤُها.

قـــلـــتُ: وأينَ شخصيةُ الأَب؟!

قـالَ المديرُ: إنَّه مـسكينٌ، وصورةٌ وهيكلٌ. فلقَـد حدثَ مـرةً أن جاءَنا ومعَه عَـصًا من الخَيْـزران، وطلبَ أن نضربَ ابنَه في

الصَّباحِ البَاكر أمامَ الطُّلاب؛ لأنَّه متمرِّدٌ علَيهم في البَيت، ولا يُنفِّذُ طلبَاتهم.

قلتُ : وماذَا فعلتُم؟

قالَ المديرُ: هدَّأنَا الأبَ، وأخبرْنَاه أنَّ هذَا أسلوبٌ غيرُ تَربوي، وغيرُ إنساني، وعاتبْناه، وأرشدْنَاه، وأخبرْناه أنَّنا سوفَ نوجِّهُ ابنَه أن يحترمَ والدَه، وأنْ ينفذَ رغباتِه.

قلتُ: وماذَا بعدُ؟

قالَ المديرُ: وبعدَ ذَهاب هذَا الأب الإمَّعَة، ولعلَّه وصلَ إلى البَيت وعرفَتْ زوجتُه أنَّنا

لَم نَستجبْ لطلَبه اتصلتْ بالهَاتف، وقالَتْ: لماذَا لَم تضربُوا ولدَنا؟! ألَم يُبلِغْكم زَوجي برغبَتنا في ضَربِه أمامَ الطُّلاب؟!

قلتُ: وماذَا قلتُم لهَذه المرأةِ الحمقاءِ؟!

قالَ المديرُ: لقَد زجرْنَاها ووعَظْناها، وقلنَا لهَا: اتَّق اللهَ يا امرأةُ، واترُكي هَذا السُّوءَ، ولا دخلَ لَك بهَذا الأمْر، ودَعِي البَغْيَ والحقدَ؛ فعاقبتُهما وخيمةٌ.

واستمرَّ مُديرُ المدرَسة يؤكِّدُ هَذه المُعاناةَ، ويصوِّرُ مأساةَ ذلكَ الطَّالب المسكينِ، كمَا ذكرَ

أنَّ والدَ الطَّالب تسلَّمَ شهادتَه وملفَّه من المدرسَة، وحجزَها لدَيه، ومنعَه الالتحاقَ بالمَرحلة الثانويَّة. ثُم غادرَ مديرُ المدرسَة المكتبَ.

وبعدَ ذَلكَ اتَّصلتُ هَاتفيّا بالأَب، وعرَّفتُه بنَفسي، وطلبتُ منه أنْ يزورَني في المكتبِ، وحدَّدْنا الموعدَ.

وجاءَ ذلكَ الجاهلُ الأرعَنُ، ورَاعَني منظرُه وساءَني مَظهرُه؛ فقَد كانَ طويلَ القامَة، كثَّ الشَّعر، متقدِّماً في السنِّ، ولعلَّه في السَّبعينَ من عُمْره، ويلبسُ بشتاً أبيضَ. ودخلَ المكتبَ وسلَّمَ، ورحَّبتُ به، ثُم أمَرتُ بالقَهوة، وحادثتُه قليلاً، وانتقلتُ معَه إلى غُرفة الاجتماعَات، وفهمتُ أنَّ الرجلَ لدَيه ثقافةٌ عامةٌ وتعليمٌ يسيرٌ،

وأ ظنُّ أنَّه ما كانَ يتوقَّع مجيءَ ابْنه إلى الإدارة، ولهذَا مَا إن فاتحتُه في الأمْر حتَّى ثارَ وغضبَ، وقالَ: أوَقَد جاءَ إليكُم؟! ألَم يَكتفِ بجماعَةِ المسجدِ؟

قلتُ: وهَل شفعَ بأولئكَ الأَخْيار الذينَ تجتمعُ أنتَ وإيَّاهُم بينَ يدَي الوَاحدِ الدَّيَّانِ في أطهَرِ مكانٍ؟!

قالَ الأب: نعَم، لقَد فضحَني، وشَهَّرَ بِي.

قلتُ: ومَا الفضيحةُ؟!

قالَ الأب: إنَّه متمردٌ، ولا يسمعُ كَلامي، ولا يَقبَلُ قولَ زَوجَتي، ثُم كيفَ يأتِي إليكُم وإلى جَماعة المَسجد ليوسِّطَهم؟!

قـــلـــتُ: نحن نتـحـدثُ عن تَعليـمـه، لا عن طاعَــتـه، فلمـــاذَا تمنعُـه مـــواصلةَ الدراسةِ؟!

قـالَ الأب: لا شأنَ لكَ بذلكَ، وهَذه رغبتُنا.

قـــلـــتُ: اتَّق اللهَ يا رجلُ؛ فـالعلمُ نورٌ، وماذَا تريدُ أن يعملَ؟

قـالَ الأب: إنَّني أريدُ أن أؤدِّبَه.

قـــلـــتُ: وهَـل الأدبُ في الجَـــــهل وتَـرك العلْم؟!

قـالَ الأب: ألا تعلـمُ أنَّه يؤنِّبُ زَوجَـــتي، وأنَّه ذاتَ يَوم سكَبَ وَقـــوداً على نَـخلة غرستُها في البَيت؟!

قـــلـــتُ: احمَدِ اللهَ.

قـالَ الأب: وكيفَ؟!

قـــلـــتُ: إنْ صحَّ أنَّـه سكبَ الوقـــودَ عـلَى النَّخلة ـ ولا أظنُّه يفـعلُ ـ فهوَ خـيرٌ من سَكـبـه علـيكَ وعلَى زَوجـتكَ وإحراقِكُما، آهِ ما أصبرَه؟

قـالَ الأب: ماذَا تقولُ؟!

قـــلـــتُ: هلْ رأيتَه أوْ كانَ ذلـكَ كَلامَ الزَّوجة القاسـيَة؟ أينَ شَـخصـيتُك؟! وأينَ ذاتُك؟!

قـالَ الأب: لَم أرَه، ولكنَّ الزَّوجةَ أخبرَتْني.

قـــلـــتُ : كـانَ اللهُ في عَـونِ ابْـنِك، واتَّقِ اللهَ

وخـافَـه، فلمــاذَا يكونُ هُو الخـادمَ والمزارعَ وإخـوتُه أبناءُ الزَّوجـة لهُم الحَظوةُ والمكانـةُ،؟! ألا تَخـشَى اللهَ في سُـوء المعامَلَـة؟ ألا تَعلمُ حُرمـةَ التَّــفْـرقَــة بينَ الأبنَـاء في العطيَّــة والمعامَلة؟! ألا تَشكرُ اللهَ أنَّه صالحٌ ومستقيمٌ ومتعلِّمٌ ومتفوقٌ؟! ماذَا لَو أنَّه منـحــرفٌ وفَــاســد؟! ولَو أنَّه منغـمسٌ في المخـدِّرات ومعَ سـفَلة وسُفَهاءَ؟! ألا يَسُوؤُك ذلكَ؟!

قـالَ الأب: والنَّتيجةُ، ماذَا تريدُ؟!

قــلــتُ: أريدُكَ أنْ تعــدلَ في المُعــامَلة، وأنْ تكـفَّ زوجــتُـك عَن الأذَى، وأنْ

تسمحَ لابْنكَ بـالدِّراسة، وأنْ تسلِّمَ لَه مَلفَّه وشهادتَه ليسجِّلَ في المَدرَسَة الثانويَّة التي يرغبُها.

قـالَ الأب: هَذا شأنٌ عائليٌّ، ولا دخلَ لكَ به.

قـــلـــت: أمَّا مُـعامَلتُك لابْنكَ وزَوجتك فـمَا قلتَـه صـحـيـحٌ، لا شـــأَنَ لـي بـه، ولا أسـتطيعُ أنْ أبذلَ إلا النصـيحـةَ والدعـــاءَ، وأمَّـا تَعـليمُ ابنِكَ فـــأنَا مسؤولٌ، ولي عَلاقةٌ بالأمْر.

قـالَ الأب: وكيفَ؟! أوَتتدخَّلُ في أمُوري؟ مَنْ وكَّلَك؟!

قـــلـــتُ: لَو أنَّ لي من الأمْـر شيءٌ لـحـجَـرتُ

عليكَ. ولَو أن وَقتي يسمحُ لي لقاضيتُك وخاصمتُك.

قال الأب وقَد وقفَ وهمَّ بالخُروج: ومَا النهايةُ؟

قلتُ: ابنُك سيتعلمُ، رضيتَ أم لَم ترضَ، وسوفَ نمنحُه ملفاً وشهادةً بديلةً عمَّا لدَيكَ، وسوفَ نعمِّدُ المدرسةَ الثانويةَ التي يرغبُها ابنُك بقَبُوله منذُ الغَد.

قالَ الأب: أوَتتدخلُ بَيني وبينَ وَلدي؟!

قلتُ : نعمْ، وسوفَ نكتبُ لإمَارة الرِّياض إنْ منعتَه التعليمَ، وسوفَ نتابعُ

تعليمَه، وهَذه مسؤوليتُنا. ثُم ذكَّرتُه باللَّه، وخوَّفْتُه من هذا التصرُّف، وأنَّه يغلبُ علَى ظنِّي أنَّ هذَا الولدَ سوفَ يبرُّ به ـ إنْ شاءَ اللهُ ـ وستثبتُ لَه الأيامُ صدقَ ظنِّي.

وخرجَ الرجلُ، وبعدَ ثَلاثة أيَّام حضرَ إلى المكتَب مرةً أخرَى، ولَم يُقابلْني، وإنَّما تركَ ملفَّ ابْنه بعدَ أنْ شطبَ رقمَ هَاتفه وعُنوانه، وكأنَّه يقولُ: لا تتَّصلُوا بي ولا تسألُوا عنِّي.

وفي المَوعد المحدَّد جاءَ الولدُ المسكينُ، وأمَرته أنْ يترفَّقَ معَ وَالده ومعَ زَوجة أَبيه، وأخبرتُه أنَّ والدَه أحضرَ الملفَّ، ووافقَ علَى مواصلَته التعليمَ. وأبلغتُ إحدَى المدَارس

الثانويَّة بالرِّياض بقَبُوله ومتابَعَته والحرْص علَيه.

وتركتُ تعليمَ الرِّياض بانتقالي إلى الوزارة، وغابَتْ صورةُ ذلكَ الطَّالب، ولكنَّها عادتْ حينَ بدأتُ أكتبُ هَذه الخواطرَ عَن التَّعليم. وأرجُو أنْ يكونَ قَد استمرَّ في تَعليمه، وأن يكونَ والدُه قد ثابَ لرُشده، ورجعَ لعَقلِه، وكبحَ جِماح زوجَته الحَمقاءِ.

العبيكان للاستثمار
Obeikan Investment Group

إحدى شركات

العبيكان للنشر
Obeikan Publishing

أحدث الإصدارات

Follow Us
obeikn reader
obeikanpub

كتبنا الصوتية
storytel
Kitab Sawti
www.kitabsawti.com
دار ضاد للنشر الإلكتروني
Dhad Audio Publishing
WWW.DHAD.SA

كتبنا الإلكترونية
Google Play
amazon kindle

لخدمات البيع والتوصيل
سوق
أحدى شركات amazon
رواق
noon

١٦- هُمُوم ومُعَاناة

كنتُ معَ وَفْد تَربويٍّ من كبَار المسؤولينَ في وَزارَة المَعَارف قامَ بزيارَة لبريطَانيَا ذاتَ عامٍ مضَى، وزُرْنا مجموعةً من المَدَارس البريطانيَّة والتقَيْنا عَدداً من التربَويِّينَ، واجتمَعْنا معَ كبَار المَسؤولينَ عَن التَّربية والتَّعْليم، وتشعَّبَ الحوارُ، وتنوَّعَ النِّقاشُ، وتعدَّدتِ الأسئلةُ.

وقالُوا: إنَّ رَأسَ العمليَّة التَّعليميَّة هوَ مديرُ المدرسَة، ونحنُ أخطَأنَا في بريطانيَا في الفَتْرة الماضيَة فلَم نُعطِ مديرَ المدرسَة الأولويَّةَ، ولَم نمنَحْهُ الاهتمامَ الأمثلَ، وأدرَكْنَا في بريطانيَا أخيراً الخَطأَ، وثبتَ لدَيْنا أنَّه الأهَمُّ، وأنَّه الأَوْلَى،

ولا بدَّ من العنَاية في اختيَاره، والاهتمَام بتَدريبه وإعـدَاده، والحـرْص عَلى إغـرَائه، وتَشْـجيـعـه وجَذبه؛ فهوَ المباشرُ للعملِ التربويِّ، وهوَ القائدُ للفريقِ العاملِ في المدرسةِ.

وشـاطرْنَا أولئكَ الـقـومَ الرأيَ في أنَّ مـديرَ المدرسَـة حـريٌّ بالعنَايَة، وجـديرٌ بالرِّعـايَة، وأنَّ نجاحَ العمَل التـعليميِّ مرهونٌ بمُديرِي المدارسِ، فـمنْ خـلال العـمَل المـيـدانيِّ الذي مـارسـتُـه، والزِّيارات الَّتي قمتُ بهـا للمدارسِ وجدتُ أثرَ مديرِ المدرسةِ واضحاً، ونشاطَه بارزاً.

لقَـد رأيتُ مـدارسَ اهتمَّ مـديـرُها بالعـمَل فأبدعَتْ، وأخلصَ قائدُها للرِّسالة فتألَّقَتْ.

إنَّ الجوانبَ السلوكيةَ وعنايةَ المعلمينَ بهَا ورقابتَهم للطُّلاب مطلبٌ تربويٌّ، ومن أولويَّات العملِ المدرسيِّ، وإنَّ دفعَ الطُّلاب للنشَاط التربويِّ، وصقلَ مَوَاهبهم الثقافيَّة والاجتماعية والعلميَّة همٌّ ومسؤوليةٌ، وهَذه المجالاتُ تتوقَّدُ وتتوهَّجُ باهتمامِ مديرِ المدرسَة وحَماسَته، وتفاعُل المعلِّمينَ معَه، وتخبُّو هَذه الأمورُ وتخمدُ بغَفلةِ مديرِ المدرسَة وتَراخِيه.

ولهذَا فإنَّ تطويرَ التَّعليم ومعالجةَ السَّلبيَّات وحلَّ المُشكلات مرهونٌ أغلبُها بمُدير المَدرَسَة، ولا بدَّ من الاهتمَامِ به والتَّركيزِ عَلَيه، ومَنحِه الأولويةَ، في مشَاريعِ وزارَة المَعَارفِ.

وكانَ اللهُ في عَون مُدير المدرسَة؛ فهُوَ يتعرَّضُ لمتابَعة المُشرفينَ التربويِّينَ، ولَوْمِ أولياء الأمُور، ورقَابة إدارَات التعليم، وتساؤل أجهزَة الوَزارة. إنَّه يعيشُ هُمومَ الطُّلاب ومشاكلَهم، ويعالجُ ويُداوي نفوسَ المعلِّمين والعَاملينَ معَه في المدرَسَة، إنَّه الحاملُ للأثْقال، المُتَعرِّضُ للسِّهام، وما أكثرَ المواقفَ التي أتعبَتْ مُديري المدَارس، واختلفتْ أساليبُهم في علاجهَا، فمنهُم مَنْ سيطرَ على الأمْر، وتمكَّنَ من المُعالجَة، ومنهُم من تعجَّلَ وتسرَّعَ، أو كانَ الحدثُ أكبرَ منهُ، ووصلَ الأمرُ للوزارةِ.

ومن المواقف التي تعرَّض لهَا بعضُ المُديرينَ وظلَّت محفوظةً بالذَّاكرة ذلكَ المديرُ الَّذي استدعَى أحدَ أوليَاء أمُور الطُّلاب، وأخبرَه

بضَعف مُستوَى ابْنه، وانقطَاعه عَن المَدرَسة، وكانَ وليُّ الأمْر مُتسرعاً، فصفعَ ابنَه في المَدرَسة أمامَ المُدير وبَعْض المعلِّمينَ، وما كانَ من الطَّالب إلا أنْ راقبَ مديرَ المدرَسة بعدَ انتهَاء الدَّوام وتبعَه ورمَاه بمسدَّس كانَ معَه. وكُسرَ فَخذُ مدير المدرسَة. وحينَ جرَى التَّحقيقُ، وتمَّت المساءلةُ قالَ الطالبُ: إنَّه لا يستطيعُ ضربَ وَالده، ولكنَّ مديرَ المدرسَة هوَ السببَ، ولهذَا أطلقَ النارَ علَى ذلكَ المديرِ المسكينِ. وقَد حُوسِبَ الطالبُ وأُكرِم المديرُ.

ومديرُ مدرسَة آخَرُ نقَلَ أحدَ الطُّلاب من فَصله بالمَرحلَة الابتدائيَّة إلى فَصل آخرَ، وعَلمَ الأبُ، وجاءَ معَ ابْنه للمَدرَسة في اليَومِ التَّالي، وأرغَى وأزبدَ، وشتمَ مديرَ المدرسَة، وكانَ مديرُ

المدرسَة عاقلاً، فـقالَ لذاكَ الأبِ وقَد وضعَ يدَه على رأسِ الطالبِ:

دَع الطفلَ يدرسْ ويـذهبْ إلى فَـصله؛ فَـلا ذنبَ لَه، إنَّ أمرَه يهمُّنا أكثرَ ممَّا يهمُّك.

وعندَ ذاكَ زادَ غـضـبُ الأب، وقـالَ: كـيفَ يهـمُّك أمـرُ ابْني؟! وجـاءَ يشـتَكي ذلكَ المديرَ العاقلَ الناضجَ لأجلِ تَغيير فَصْله!

ألاَ مَـا أصبَـرَكم زُمَـلائي مُـديرِي المدارسِ! وكانَ اللهُ في عَوْنِكم.

ولقد عبـر عن همومكم أخي حسن مـحمد الزهراني في قصيدته التالية: (هموم مدير).

أصبحتُ وا أسفَ الفؤادِ مديرًا

فوقعتُ في سجنِ الهُمومِ أسيرَا

احترتُ بينَ أمانةٍ حُمِّلتها

ورضَا الأنامِ فهَل أنامُ قَريرا

ضِدَّان لا يتآلفانِ بموضعٍ

ما زالَ جمعُهما عليَّ عسيرَا

والناسُ مِن حَولي تزاحمَ وُدُّهُم

فرشُوا علَى طولِ الطريقِ حريرَا

فلكلِّ فَردٍ غايةٌ يسعَى لهَا

فيدَاه تحملُ للمديرِ زُهورا

وتقــرَّبَ المتـملِّـقـونَ ليُــدخِلُوا

في النفسِ من زيفِ الودادِ سُرورا

أثْنَوا عليَّ وبـالَغُـو في مـدحِـهم

حسـبُوا الوصولَ إلى رضايَ يَسـيرا

لَم يعلَـمُـوا أنِّي أحـطتُ بكلمــا

رامُـوا وأكـتمُ في الفـؤادِ زَفِـيـرا

ما زلتُ أعـرفُ قدرَ نفسِي جـيدًا

مـا زالَ حـبِّي للظُّهـورِ صَـغـيـرا

وبهـيـئـةِ التـدريـسِ أبدَأ رحلَتِي

وأقـولُ عَن زُمَـلاء هـمِّي خِـيـرا

لكنَّ فـيـــهـم مَن تجـاهلَ دورَه

ليـشبَّ في صـدرِ المديرِ سـعيـرَا

فـمـدرسٌ مـتـــخـاذلٌ ومـدرسٌ

يهوَى الـغيابَ ويُحـسنُ التبـريرا

ومـــدرسٌ عَـكِرُ المِزاج فكلَّـمـــا

أرشـــدتَه أبصـــرتَ مـنهُ نُفـــورَا

وإذا أمـرتَ وجـدتَ مـنهُ تشـرُّدًا

وإذَا نهـيتَ وجـــدتَ منه غُـرورا

والبـــعضُ مـنهم لا يريـدُ ريادةً

والبـــعضُ مـنهُم يكرهُ الـطَّابورا

والبـعضُ يشكُـو من تمامِ نصـابِه

والبعضُ منهُم يهـملُ التَّحضـيرَا

والبـعضُ فاخـرَني بخِـبرتِه ومَـا

ألقَى لَـهَـا في نهــجِــه تـأثيــرَا

والخبـرةُ العمـياءُ لا تجـدِي الفتَي

ما لَم يحاسبْ في الخَفـاءِ ضَميرَا

والبـعضُ منهم مُـخلصٌ ومثـابرٌ

جـعلَ الكتـابَ لنهـجِه دسـتـورَا

يخشَى الإلـهَ فمَا يهـابُ موجِّـهًا

يُحصِي العـيوبَ ولا يهابُ وَزيرَا

ومشـاكلُ الطلابِ لا تحُصَى فكَم

بعـثُــوا إليَّ معَ البليـدِ خَــفـيـرَا

فـأحـارُ حينَ أرَى أمــاميَ طالبًـا

لَم يدرسِ التـاريخَ والتـفـسـيـرَا

وُمـشاغبٌ في الـفصلِ إن عـاقـبتَـه

أمـسَى الفـؤادُ لما فـعلتُ كسِـيـرا

وإذا عـفـوتُ فـقَد فـتـحتُ لغـيـرِه

باباً وقَــد يستــسـهلُ الـتكريرا

واشـدُّ مـا شـقيَ الـفـؤادُ بطالبٍ

لا يُحـسنُ الإمـلاءَ والـتـعـبِـيـرا

أو طالبٍ مُــتــســربلٍ بـدهائه

لبقِ الحــديثِ ويُتــقنُ التَّــزويرَا

ويُزيلُ حُــزني طالبٌ مـتــفـوقٌ

ومُـؤدبٌ ســرَّ الفــؤادَ كَـثــيـرا

وعـجبتُ من عُـمَّالنا إذْ لَم أجـدْ

منـهُم لما يُســـدِي المديرُ شَـكورَا

يتناوبونَ علَى الـغيـابِ فـإنْ أتَوا

نامُـوا وبثُّوا في الفـضاءِ شَـخيـرَا

ولأوليــاءِ أمــورِ طـلاَّبي مَــعي

قـصصٌ سأُوردُ بعـضَهـا تذكِيـرا

يأتِي ولـيُّ الأمــرِ يضـــربُ ابنَه

عندِي ويدعُــو حسـرةً وثُـبُـورَا

والبعضُ جاءَ إليَّ يهـمسُ باسمًا

فسـمعتُ هَمـساً مُـذهلا ومُثـيرا

أعطِ الشـــهـــادةَ يا مُـــديرُ لابـنِنا

وتنـالُ منَّا لـو أردتَ بَعـــيـــرَا

والبـــعضُ أهملَـنَا وأهملَ ابـنَه

لينـالَ مـــالاً يقـــهـــرُ التَّـــبـــذيرا

قَـد ظنَّ أنَّ صَـغـيـــرهُ مـتـفَـوقٌ

دومَـا ويُذهلُ إن رأَى الـتـقـريرَا

والبـعضُ أزعجَـنا بكُثرِ مـجـيئِـه

أضحَـى لنَا دونَ الجمـيعِ عَشـيرا

والسـائقـونَ تذمَّــرُوا من خطَّتي

لا يرغبـونَ مدَى الدوامِ حُـضورا

يشكونَ من شغبِ الصِّغـار وبعضهُم

من حُـمــقِـه لا يمشقُ التَّـبـكيـرا

والخـادمُ المسكينُ يـبكِي حـسـرةً

إذ لَم يجــدْ بينَ الأنامِ نـصـيــرَا

لا مـــالَ يمـلكهُ ولا مـــأوَى لَه

قـد كـانَ حـقـاً بائسـاً وفـقـيـرَا

فـتـبـدلَتْ أحـوالُه فـمُـواؤُه

أضـحَى وقـد نالَ الكثـيـرَ زئيـرَا

وإدارةُ التـعـلـيمِ تـطلُـبُنـي بما

لا يسـتطاعُ وتمقتُ التـأخـيـرَا

وإذَا طلبتُ فـألفُ عُـذرٍ عندَها

حـتَّى وإنْ كـانَ المرادُ وفـيـرَا

هذا الـذِي كـابدتُه وتـأكَّـدوا

أنِّي صبرتُ على العـذابِ شُهورا

ولذا حـزنتُ لسوءِ حظِّي عندمَـا

أصبـحتُ وا أسفَ الفؤادِ مـديرَا

١٧- رِسَالة إلى المُعلِّم (م.م.ر)

يتلقَّى المسؤولُ فيضاً من المُعامَلات، وتُعرَضُ عليه مجموعةٌ من القَضايَا، ويتأمَّلُ ما هُو بينَ يدَيه؛ فهوَ قاضٍ يحكمُ ويتروَّى، وصاحبُ قَرار يلزمُه البَتُّ والحَسمُ. وذاتَ يومٍ وجدتُ أمَامي معاملةً للمعلِّم (م.م.ر)، وكانتْ بشَأن ضَرْبه أحدَ الطُّلاب، وقَد جَرَى التَّحقيقُ معَه، ودُرسَتْ من قبَل اللِّجان المختصَّة، ومطلوبٌ الموافقةُ علَى اعتمَاد العُقوبة المقترَحة. وقَد درستُ الأوراقَ، وتصفَّحتُ المعاملةَ، وتبيَّنَ أنَّ المعلمَ متميِّزٌ، ولهذَا خالفتُ اللِّجانَ في الرَّأي، ووجَّهتُ بتَخفيفِ العُقوبة؛ فليسَت المحاسبةُ هدفًا، ولا غايةً.

ولأنَّ المعلـمَ أسـاسُ التَّـعليـم، ولا بدَّ من مُلاحظَـة الجَوانب النفـسيَّة، ويلـزمُ تَنبيهُـه برفق وإرشـادُه للجَانب الأمـثَل، فلهـذَا كتـبتُ بخطٍّ يدِي الرِّسالةَ التَّاليةَ للمعلِّم المَذكور:

لأخِي الأستاذِ/ (م.م.ر) سلَّمَه اللهُ

السلامُ علَيكم ورحمةُ اللهِ وبركاتُه. وبعدُ:

فـقَـد اطَّلعتُ عَلى المُـعـاملة الدَّائرة بـشَـأن شَكْوى وليِّ أمْر الـطَّالب (خ.ع.ش) من ضَرب ابْنه والبَصْق عليه من قـبَلكم، وكذلكَ الشكوَى الأُخـرَى من وليِّ أمْـر الـطَّالب (ن.ع.س) مِن ضَربِكم لابنِه.

أخِي الكريمُ، لقَد ساءَني تصرُّفُكم، وبخاصَّةٍ

البـصقُ علَى الطَّـالب الذي أنتَ أبٌ ومُـرَبٍّ له قـبلَ كلِّ شَيء، وآلَمني تكليـفُكم الطالبَ الآخـرَ بإحصَاءِ أخطاءِ زَميله في مادَّةِ القرآنِ الكَريمِ.

هَذان الأمْرَان لا نقبلُهُمـا تَربَوياً وتَعليمياً؛ إذْ كيفَ ستكونُ نفسيـةُ الطَّالب أمامَ زُملائه؟! إنَّها سـتـتـحـطمُ وتنهـارُ. تخـيَّلْ أنَّـك مكانَ ذلكَ الطَّالب! تصـوَّر الحالةَ النفـسيـةَ لَه وزميلُه يَـعُدُّ عليه أخطاءَه! إنَّه سيرتبكُ، سيـهتزُّ، سيتألَّمُ، إنَّه سيكرهُ المادةَ، ويكـرَهُ الأستاذَ، وسـيتمـيَّزُ غضَـباً علَى زَمـيله المُرَاقـب لَه، وكـأنِّي أنظرُ إلَيـه وهوَ يحترقُ من الداخلِ.

أخي، لقد سرَّني وأسعدَني ما نلتَه من تقاريرَ

فنِّيَّة من المُشرفينَ التربويِّينَ، وأبهجَني ما وردَ في استمَارَة الإشراف التربويِّ من تعاونُك معَ إدارَة المدرسَة وزُمَلائك، ولهذَا كانَ رَأيي الاكتفاءَ بتَنبيهكُم بَدَلاً من الحَسم والإنذَار؛ فالعقوبةُ ليستْ هدفاً ولا غايةً تنشدُها الوزارةُ.

ولكَ أيُّها الزميلُ العزيزُ خالصُ تحيَّاتي وتَقديري.

أخوك/ وكيل الوزارة

هذَا، وقَد كتبتُ لمُدير التَّعليمِ رسالةً بخطِّ يَدي تقولُ:

لأَخي الكَريم/ مُدير التَّعليم سلَّمَه اللهُ

السَّلامُ عَليكُم ورَحمةُ اللهِ وبركَاتُه

أرفقُ لَكم رسالةً لأخِي الأستاذِ (م.م.ر) المدرِّس بمدرسَة (أ.أ.س).

أرجُو استدعاءَه في مكتَبك وقراءةَ هَذه الرسالةِ معَه وتسليمَها إلَيه.

ولكَ ولَه خالصُ تحيَّاتِي وتَقديرِي

أخوك/ وكيل الوزارة

١٨- ساكِن الخَيمة

كـانَ اللهُ في عَون زُمـلائي مُديري التَّـعليمِ؛ إنَّهم يواجـهونَ الجـمهـورَ، ويقـابلونَ مخـتلفَ الطَّبقَات، ويَجـدونَ مرارةً من بعضِ المراجعينَ، وقـسـوةً مـن بعضِ المعلِّمينَ، ونَكَـداً من بعضِ الموظَّفينَ، وجَدلاً من بَعضِ المراجِعينَ.

وإنَّهم يتلقَّونَ تَعليـماتِ الوَزارة ويَصطَدمونَ بالوَاقعِ؛ فإرغَامُ النَّاس على نظامٍ لا يريدُونَه هَمٌّ وبلاءٌ، وتَعـويدُهم عَـلى أمـرٍ لا يرضَـونَه سُـوءٌ وعَناءٌ.

ومن ذلكَ نظرةُ الوَزارةِ نحوَ الأقسامِ العلميةِ والأدبيَّةِ بالمرحلةِ الثانويةِ؛ فهيَ توجِّهُ المناطقَ إلى

أن يكونَ قَبولُ الطُّلابِ مُرَكَّزًا في الأقسامِ العلميَّة، وأن تُخنَقَ الأقسامُ الأدبيةُ؛ فحاجةُ التَّنميَة إلى الأقسَامِ العلميَّة أكثرُ، والمستقبلُ للناجحينَ من تلكَ الأقسامِ أفضلُ.

إلا أنَّ بعضَ الطُّلاب لا يَعلمُونَ مصالحَهم، ولا يَتَبَيَّنُونَ مستقبلَهم، فيُصرُّونَ على الأقسَام الأدبيَّة، ويكونُ الضَّغْطُ واللَّغَطُ، وتمانعُ المناطقُ والوزارةُ، وتصدُّهم وتَرُدُّهم، ولكنْ نُسائلُ أنفُسَنا أحياناً، ونقولُ: أليسَ في ذلكَ قسوةٌ؟! أليسَ في هَذا خوفٌ على أولئكَ الطلابِ من الإخفاقِ؟!

وهَل الكلياتُ العلميةُ تستوعبُ جميعَ

الطلاب الناجحينَ في الأقسَام العلميةِ؟! وهل هي تشكُو قلةَ الطلابِ؟!

ثم أليْسَت الكليـاتُ العـسكريةُ تُسـوِّي بينَ الأقسامِ الأدبيَّة والعلميَّة في القَبول؟! والأولويَّةُ لذَوي الدرجـات العُليا سـواءً كانُوا من القـسمِ الأدبيِّ أم العلميِّ؟!

وماذَا نقولُ لأولئكَ المراجعينَ الذينَ يؤكِّدونَ أنَّهم وأبناءَهـم قَـد حـدَّدُوا توجُّهـاتِهم، وهيَ الكلياتُ العسكريةُ، ويطلبُونَ الأقسامَ الأدبيةَ؟!

وكنتُ ممَّن يرَى تَرْكَ الخيَـار للمُواطن، وعدمَ الإجبَـار والإكْرَاه، وألاَّ تُعـالَجَ الأمورُ بالضَّـغط والقَـسوَة، وأنْ يُعـادَ النظرُ في الأقـسَام الأدبيَّـة

بتَكثيفِ مَناهجهَا، وخصوصًا بحفْظ القُرآن الكَريم، وبَعضِ القصَائد الشِّعريَّة، والتَّركيز على التَّحليل والاستِنباطِ والكتابةِ والإبدَاعِ، والخَطابة والإلقاءِ.

وفي المُقَابلِ التَّخفيفُ في مَناهجِ الأقسامِ العلميَّة، ومُراجعةُ بَعض المسائلِ الرياضيَّة والعلميَّة وتبسيطُها، واختصارُ بعض الموضوعات، وتحبيبُ هَذه الموادِّ الجافَّة إلى نُفوسِ الطلابِ بالتطبيقاتِ العمليةِ.

وأن تتوسَّعَ الجامعاتُ في قَبول الناجحينَ من الأقسامِ العلميَّة، وأنْ تُفتحَ المعاهدُ المتخصصةُ لهؤلاءِ الطلابِ، ومن ثَمَّ سيتَّجهُ الطلابُ إلى تلكَ الأقسامِ بطَوعِهم واختيارِهم.

أو يكون التعليمُ الثانويُّ قسماً واحداً شاملاً ولا ضرورةَ للتَّشعيبِ والتفريعِ.

ومن الصُّور الَّتي أتذكَّرُها أنَّه في الأسْبوعِ الأَخير من شَهر جُمادَى الأُولَى لعام ١٤١٧هـ، وجدتُ معَ المُراجعين أعْرَابياً، لعلَّه في الثَّمانينَ من عُمره، طلقَ المُحَيَّا، قَويَّ الشخصيَّة، فصيحَ اللِّسان، صهرَتْه الصحراءُ، وطبعَتْه بطابَعِها القَاسي. وكانَ يطلبُ قَبول ابنَيْه (مسْفر ونغيمش) بالقسْمِ الأدبيِّ في إحدَى الثانويَّات؛ حيثُ إنَّ المدرسةَ وجَّهَتْهُما إلى القسمِ العلميِّ، ولكنَّ الطالبَينِ يرغَبانِ في القسمِ الأدبيِّ.

والسببُ في طَلَبه وإلحَّاحه ـ كما يقولُ ـ

أنَّهم يعيشونَ في الصَّحـراءِ عَلى بُعد سبعينَ كم من المدرَسة، والسكنُ في خَيمة، حيثُ لا تتوافرُ الكهربـاءُ ولا المقوماتُ السكـنيَّة التي تؤهِّلُهـما للدِّراسات العلميَّـة، فلا يُذاكرانِ إلا في أطْرَاف النَّهـار. ولقَـد سرَّني حـديثُـه، وأعجـبَني قـولُه وأبهجَني اهتمامُه بأبنَائِه وحرصُه على تَعليمِهم.

وجرَى بينِي وبينَه الحوارُ التَّالِي:

قلتُ: أليسَت المدرسةُ بَعيدةً؟

قـــال: نَعمْ. ولـكنَّ إرادَتَنا قـــويةٌ، وهـمَّـــتُـنا صحراويةٌ.

قلتُ: ولماذَا تسكنونَ هناكَ؟

قالَ: لأنَّ لدَيْنا إبلاً وأغناماً تقومُ بشؤونِنا الدُّنيَويةِ.

قلتُ: ومَن يَرعاهَا؟

قالَ: أنا الرَّاعي للإبلِ. أمَّا الأغنامُ فنَدَعُها هملاً تدورُ وتدورُ ثم تعودُ.

قلتُ: والأولادُ؟

قالَ: يذهبونَ في الصَّباح البَاكر عَلى سيَّارة (داتسون) ميْسُورةِ الحَالِ، ولا يعودونَ إلاّ قُبَيلَ المَغربِ، فالمسافةُ سبعونَ كم.

قلتُ: باركَ اللهُ في همَّتك، وسَرَّك بأوْلادكَ،

وأراكَ فيهمُ القُدوةَ الحسنةَ. وإيَّاكَ إيَّاكَ أنْ تَدَعَهم دونَ تعليمٍ.

قالَ: أبَداً أبَداً بتَوفيقِ اللهِ سيتعلَّمون، وبعَونِه سينجحُونَ وبإرادتِه سيتفوَّقونَ.

قلتُ: إنَّ الأقسامَ العلميةَ أفضلُ لأبنائِكَ، نريدُهم أطبَّاءَ ومهندسينَ.

قالَ: وإنَّني وإيّاهُم، نريدُ الكلياتِ العسكريةَ.

قلتُ: ولماذَا؟

قالَ: فيهَا الخشونةُ والرجولةُ، وفيهَا طبعُنا نحنُ أبناءَ الصحراءِ، ونحنُ رجالَ الباديةِ.

قلتُ: وإذا نَجَحُوا في القسْمِ العلميِّ بإمكانِهم الالتحاقُ بالكُلياتِ العسكريةِ.

قالَ: ولكنَّهُما يطلُبانِ درجاتٍ أعلَى ودراسةً أسهلَ.

هذَا وقَد استجبتُ لطَلبه، وكتبتُ إلى المدرسَة بتَحْقيقِ رغبَتِهم.

إنَّها صورةٌ مثاليةٌ لأعرابيٍّ من الصَّحراء، إرادةٌ وفطنةٌ، ووعيٌ وإدراكٌ، وتحدٍّ ومتابعةٌ، وهيَ كذلكَ جانبٌ من جوانبِ مُعاناة المَسؤولِ. فهلْ يستجيبُ أم لا؟!

١٩- المُراجِع الأحمَق

الصورُ الـتي أتذكَّرُها عن المُراجـعينَ كثـيرةٌ، والمواقفُ مُـتنوعةٌ، فـالنَّاسُ أشكالٌ، والقادمـونَ أجناسٌ، والزائـرونَ كُلَّ يَوم تتنوَّعُ حـاجــاتُهم، وتتعدَّدُ ثقـافاتُهم، وتختلفُ أساليـبُهم في القَولِ والمُطالبةِ، وفي الحِوارِ والمناقشةِ.

وعلَى المَسؤول أنْ يتحمَّلَ ويصبرَ، ويلزمُه أن يحلُمَ ويتأنَّى، ويجبُ علَيـه أن يسمعَ منهُم، وأنْ يقابلَهم، وأن لا يجمعَ سَوْأَتَين، فظاظةَ استقبَال، وقسوةَ قَول، وفوقَ ذلك عدمَ استجَابة للحاجَة. وكما قـالَ المتنبِّي: (فليُسْعِدِ النطـقُ إنْ لَم يُسْعدِ الحالُ).

ومن الصُّـور التي أتذكَّرُها أنَّه قَـدمَ ذاتَ يَوم إلى مَكتَـبي في إدارَة التَّعليم بالريَاض شـخصٌ لَه مـعـاملةٌ في الإدارَة، وطـلبَ توجـيـهَ القـسمِ المختصِّ بإنهَاء الأمْر وَفْقَ رَأيه وحَسْبَ رغبَته.

وقَد شـرحتُ على استدعَائه بطلَب المُفـاهَمة معَ رَئيس ذلكَ القـسْم لأستجليَ الأمـرَ، وخرجَ الرجلُ، ثُم عادَ بعدَ سَاعـة، وقسَا في القَول علَى رَئيسِ ذاك القـسْم، وهدَّأتُه وطلبتُ منه الانتظارَ والمراجعةَ بعدَ صَـلاةِ الظُّهر، أو في الغَدِ إنْ شاءَ اللهُ.

وبعـدَ الصَّـلاة جاءَ إلـى المكتَب، وجلسَ معَ المراجعينَ، وقلتُ لَه: لقَد علمتُ أنَّكَ تطلبُ من

الإدارَة استئجارَ حَافلَتك، وهَذا لا بُدَّ لَه من منافسَة، وقَد أخبَرني القسمُ المختصُّ أنَّ غيرَك أقلُّ سعراً منكَ، وبهذَا لا يمكُن تعميدُك؛ فهذَا هُو النظامُ.

لكنَّ قَولي لَم يُعجبْه، ووقفَ، وقالَ: لماذَا تبتسمُ وأنتَ تُحَدِّثُني؟

قلتُ لَه: البسمةُ خيرٌ من القَسوةِ، ومن المَعروف أنْ تَلقَى أخَاك بوَجْه حَسن.

قالَ وقَد ولَّى، ووقفَ قُربَ البَاب، واستدارَ نَحوي: اسمعْ، أسألُ اللهَ أنْ لا يوفِّقَك. فلَم أُجِبْه؛ فقَد تذكَّرتُ قولَ الشاعرِ:

إذَا نَطَقَ السَّفيهُ فلا تُجبْهُ

فخَيرٌ من إجَابتِه السُّكوتُ

ولكنَّه غـضبَ، ورفعَ صـوتَه، وعـادَ حـتَّى وصلَ قُربَ الطَّاولة، وطلبَ أن أُجيبَه، فقلتُ لَه بكلِّ هُدوءٍ: أسألُ اللهَ أنْ يوفِّقَكَ وأنْ يَهديَكَ.

قالَ: أسألُ اللهَ أنْ لا يَجزيَك خَيراً. رُدَّ عليَّ. قلتُ لَه: أسـألُ اللهَ لكَ الخـيرَ والتـوفيقَ، وهيَّـا توكَّلْ علَى اللَّه، واترُك الجِدالَ، ودَعْنا نعملْ.

وكـانَ حـاضراً فـي المكتَب بعضُ المُراجـعينَ فغضـبُوا، وانبَرَى أحدُهم مُجـادلاً إيَّاه، وما كادَ ذلكَ المُراجعُ الآخَـرُ يتكلَّـمُ ويقـولُ لَه: اتَّق اللهَ

يارجلُ، وتأدَّبْ حتَّى ثارَتْ ثائرتُه، وقالَ لَه: اسكُتْ. ونشبَ بينَهما جدالٌ وخصامٌ كادَ أنْ يكونَ عراكاً ونزالاً، ولكنِّي رجوتُ الحاضرينَ الهُدوءَ، وتَركَه، فالأمرُ يخصُّني، ثُم إنَّ الرجلَ طلبَ الجوابَ، وأنا أجبتُه.

وبعدَ أن هَدَّأتُ الحالَ، وخرجَ المسكينُ قالَ أحدُ الحُضور: يا عبدَ العَزيز، لا بُدَّ أنْ يتأدَّبَ هذَا الجاهلُ، وعَليه أنْ يتعلَّمَ. وأنتُم ـ رجالَ التربيَة ـ رَوِّضُوا هذَا، وعلِّموا ذاكَ. فقلتُ لَه: إنَّ الرجلَ شبَّ عَن الطَّوق، وإنَّ المسكينَ عَلاه الشيبُ، ومَاذا يُجدي تعليمُه؟! وكيفَ يتمُّ توجيهُه والحماقةُ أعمَته، والسذاجةُ أضلَّتْه؟! ثُم

أمَا سمعتَ قولَ الشَّاعر:

أترُوضُ عِرسَكَ بعدَ مَا كبرتْ

ومـنَ العَنـاءِ رياضَةُ الهَـرمِ

ويَقـيني أنَّـه سـوفَ ينـدمُ حينَ يثـوبُ إلى رُشده، وأجزمُ أنَّه سوفَ يتألَّمُ حينَ يهدأُ غضبُه.

وبعدَ أنْ ذهبَ الرجلُ بتُّ أفكِّرُ في أمْـره فقَد خَـشيتُ أنْ يغلبَني الهَـوَى؛ فـالنفسُ ضعـيفـةٌ، وخـفْتُ أنْ يكونَ هذَا الرجلُ مَظلومـاً، وأنَّ في الأمْـر شيـئـاً، فربَّـمَا أنَّ هذَا التـصـرُّفَ منه عَن ضَعف وخَوَر، أو عَن أسًى ويَأس، ولهذَا طلبتُ الأوراقَ كـاملةً، ونظرتُ فـيهَـا، وقـرأتُها ورقـةً

ورقـةً.. وأدركتُ أنَّ المسكينَ كـانتْ لَه حـافلةٌ تُستأجَرُ منه منذُ سَـنوات، وفي هذَا العَام نافَسه مـواطنٌ آخـرُ، حـالَتُـه أيسَـرُ، وناقـلاتُه أكـثـرُ، والفَـرق بينَهمـا يسـيرٌ، والسِّـعرُ بـينهُمـا قليلٌ، ولعلَّه خمسةُ ريالاتٍ.

وعندَ ذاكَ أشـفـقتُ عَلـيـه، ورثَيتُ لحَـاله، واسـتدعَـيتُ ذلكَ المقاولَ، وأخـبـرتُه بالقصَّـة، ورجَـوتُه أنْ يـتنازلَ عَن الأمْـر لهـذَا المسكين. وكانَ شَهماً استجابَ لطَلبي، ولبَّى رجَائي.

وعـمَّدْنَا هذَا الغـاضبَ، وعندَ ذاكَ حمـدْتُ اللهَ أنَّنـي سـيطرتُ علَـى أعـصَـابـي، وملكتُ مشَاعري، وترَفَّقْتُ بذلكَ الضَّعيفِ.

هذَا، وبعدَ أسبوعَين عادَ المسكينُ يُبدي أسَفه، ويُظهرُ ندمَه، فقلتُ لَه: احفظْ قولَه تَعالَى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾. كرِّرْها دَوماً، وردِّدها مراراً، وتذكَّرَ ـ هداكَ اللَّهُ ـ أنَّك رُبَّما تقابلُ مَنْ يقسُو علَيك ويزجرُك.

أحدث الإصدارات

Follow Us
obeikn reader
obeikanpub

كتبنا الصوتية
storytel
Kitab Sawti
www.kitabsawti.com
دار ضاد للنشر الإلكتروني
Dhad Audio Publishing
WWW.DHAD.SA

كتبنا الإلكترونية
Google Play
amazon kindle

لخدمات البيع والتوصيل
سوق
أحدى شركات amazon
رواق
noon

٢٠- معَ المُعلِّم الشَّاعِر

وصلَني ذاتَ يَوم خطـابٌ من مُـدير التَّـعليم في صَبْيَا، ومـعَه قصيدةٌ للمعلِّم حـسَن حمَد عزّ الدِّين أبو علَّة، يشكُـو فيـهَا حـالَ المدرَسـة التي يعملُ فيهَا وحاجتَها للكهربَاء، ويطلبُ أنْ يؤمَّنَ لهُم مولِّدُ كهربَاء. وعُنوانُ القَصيدة (دمعة يراع) يقول فيها:

حـدِّثانِـي عَن الهَـوَى حـدِّثاني

واقـبَلا الصَّـمتَ والبُكا واعـذرَاني

حـدِّثانـي عن الهَـوَى إنَّ سَـمـعي

مُـولعٌ بالجَـوَى وصَـدِّ الغَـوَاني

حـدِّثاني ولا تُـطِيـلا سُكـوتاً

كـلُّ داءٍ يَزيـدُ بالـكتـمَـانِ

وانظُرَا الكبتَ كيفَ يغدُو دماراً
كيفَ يُزْري بفوهَةِ البُركانِ
حَدِّثاني عَن الهَوى رُبَّ ليلٍ
صارَ دَهراً بآهةِ الولَهانِ
يا خَليلي والمساءُ كئيبٌ
بالغُ الهمِّ قاتمُ الألْوانِ
حدِّثاني فللهَوَى ألفُ مَعنى
شيَّدَ الحُسنُ أُسَّهَا والمبَاني
أخبراَني فإنَّ قَلبِي جَريحٌ
وبناءٌ مُصَدَّعُ الأركَانِ
غيرَ أنِّي إلى الهَوَى فيَّ داعٍ
كلَّما قمتُ للرَّشَاد دعَاني

فـإذا الحلمُ صـارَ سُـكراً وصَـحـواً
أبدلَ الكأسَ أخـتـهـا فـابتَـلاني

نبـتَـغـي الوَصلَ والوِصـالُ مميتٌ
يُفـقـدُ الحبَّ لذةَ الحِـرمـان

كَم سـعَـينـا إليـه دونَ ارعـوَاء
وملَـلْناه بعـدَ طُولِ الـتَّـداني

غـيـرَ أنَّ الوصـالَ يبـقَى لزامـاً
رؤيَـة الـطَّـيف أو رُؤَى الـوَسـنـان

كلُّ حُبٍّ يـصـيـرُ بَعـدُ جَـفـاءً
غـيـرَ حُبٍّ في سـاحَـة الـرَّحـمن

يا مـديرَ التَّـعلـيم هذَا خطَـابي
مُـثـقلُ الخَطْـو أصـفـرُ اللَّون وَان

يا مـــــديرَ الـتَّـــعليم هَـذا نداءٌ
لأبٍ طيِّـب السَّـــــريرَة حَـــــان

كـــرَّمَ اللـهُ منه أصْـــلاً ورُوحـــاً
وحـبَـــاه (كَـــرامـــة) الـعنوان[1]

أيُّـهـــــا الوالـدُ الـعظـيمُ بـدَرب
فـــيـــهِ وصـلُ اليَـــمين بـالإيمَان

أيُّهـــا الوالـدُ الرَّحـــيـمُ بمشـــفَى
نمنحُ الـعينَ فـيـــه للعُـمـــيـــان

كـــيفَ باللَّـه ـ سـيِّـدي ـ لَـو ترَانا
نطرد الـطفلَ في حـــمَى الجُـــدران

كـــيفَ باللَّه لَو ســـمـعتَ جـــدَالاً
كلُّ فَـــــردٍ يقـــولُ هـذَا مكـانِي

(١) كرامة: هو اسم أخي الكريم مدير التعليم في صبيا، أعانه الله ووفقه.

كـيفَ باللَّه لَـو رأيتَ صَـغـيـراً
مُستغيثاً في قَاعَة الامتحَان:

قَد عَـييتُ ومـا عـرفتُ جَـواباً
ووضـعتُ الأهرامَ وَسط عُـمَـان

وجـعـلتُ من (ثُم) حَـرفَ ندَاء
وجـررتُ المنصـوبَ (بالضـمَّتَانِ)

لا تَلومُـوا فـإنَّني اليَـومَ خَـصمٌ
لامـتـحـانٍ تحـوطُهُ مِـحنَتَـان

أيُّ عِـلـم يـكـونُ بـينَ ثَـنـايَـا
شـدَّةِ الحَـرِّ وازدِحـامِ المَكانِ؟!

* * *

يا مـــديرَ الـتَّـعـليم إنَّـا بخَـبت
قَـــمْطَـرير يفـــوحُ بالـنِّيـــران

يا مـديرَ التَّعلـيم ـ والله ـ شـمسٌ
لَوَنَّـتْنَا بـصـــبـــغَـــة القَـطِران

واحـتـبـاسُ الهَـواء حـتَّى كـأنَّا
قـد حُبِسْنَا في دَاخل البَرْطَمـان[1]

لو رأيتَ الجـبـاهَ كـيفَ تبـاكَتْ
بدمُـــوع ومـــا لَهَـــا عَـــينَان

إن أتَى الرِّيحُ بـالنَّسـيـم ابتـهَـجْنا
واقـتـسَمْنَـا الأفراحَ بعـدَ التَّـهـاني

كلُّ فَـــردٍ يَجيءُ مـــثلَ عَـــريس
أَلْمَـــعِـــيٍّ مُـــطَـــيَّـــبِ الأرْدَانِ

(١) البرطمان: إناء من زجاج أو خزف، تحفظ به المُرَبَّيات ونحوها.

ثُم يَلوي إلى الدِّيار عَبُوساً
بثيابٍ كأنَّه الأصْفَهَانِي[١]
كيفَ والكهرباءُ يَوماً ستَأتي
فوقَ (جُعَل) يقودُه (غَيْلَمان)!!

* * *

يا مديرَ التَّعليم هذَا خطابٌ
جاءَ يشكُو في حلِيَة الخَجلانِ
قَد قصدْناكَ قصدَ أهْلِ العَطَايا
وأتينَاكَ رغبةَ الإحسَان
إنَّمَا الكهرباءُ سرٌ عَجيبٌ
يُلْبسُ المِيْتَ ثوبَ عمرٍ ثان

(١) الأصفهاني: هو أبو الفرج الأصفهاني صاحب كتاب الأغاني، وقد عُرفَ بشدة اتساخ ملابسه.

ويبـثُّ النشـــاطَ بـينَ خَـــلايا
جَـامـدات في عَـالَم النِّسـيـان
فانظُر الأمرَ واقـشَعَنْ سُحبَ بُؤس
وأغـــثْنَا بفَـــيـضـكَ الهَـتَّـــان

* * *

أيُّهـــا الوالـدُ العظيـمُ اعـتـــذاراً
لَـك مـنِّي لَمَـا بـراهُ لـسَـــــانـي
ولمـا سطـرَتْ دُمُـــــوعُ يَراعـي
ولَمَا أشـــعلَتْ شُـــمـوعُ بيَـــاني
غـيـرَ أنِّـي وجَـدتُ فـيكَ فـؤاداً
عُـــــمَـــــريّا يُـشِـعُّ بالإيمَـانِ

وبعدَ أنْ قرأتُ رسالةَ مُدير التَّعليم والقصيدةَ رأيتُ مخاطبةَ ذلكَ المعلِّم؛ حيثُ أحرصُ عَلى تَشجيع المواَهب، ومُخَاطَبة المعلِّمين؛ فهُم صُنَّاعُ الأمَّة، وبناةُ المستقبَل.

ولهذَا كتبتُ رسالةً لأخي المعلِّم حسَن حمَد أبو علَّة، ذكرتُ فيهَا أهميَّةَ دَور المعلِّم، وأبدَيتُ إعجَابي بالقَصيدة، وأنَّ الرِّسالةَ وصلَت، وكانتْ من أبلَغ الرَّسائل، وأنفَذ الحُجَج، وأنَّه تَمّ الاستجابةُ للطَّلب. وبعدَ أيَّام وصلَتْني من ذلكَ المعلِّم الرسالةُ التاليةُ، حيثُ يقولُ فيهَا:

أستَاذي الفاضلُ، الدكتورُ عَبد العَزيز بن عَبد الرَّحمن الثنيَّان وفَّقَه اللهُ

السلامُ عليكُم ورحمةُ اللَّه وبركاتُه، وبعد:

لقَـد وصلَتْني رسالتُكم الغـاليةُ، التي كـانَت علَى اختصَارِها تفـيضُ بمعَاني الأُخُـوّة وعَطف الأُبُوَّة.

ولَم أكُن سـاعتَـها أعلـمُ بأيّهمـا أنَا أسعـدُ؟ أبقُدوم المُولِّد أم بوُصُـول الرِّسالة؟! وقَـد عَمَّتْ هَذه السَّـعـادةُ الهـيـئـةَ العـاملةَ بالمدرَسـة وعَلى رَأسهم مُـديرُ المَدرسة، وكُلُّهم يلهـجونَ بالشُّكر والدُّعاء لكُم.

أستَاذي الفَـاضلُ، لقَد أصبحَتْ دمـعةُ يَراعنا بسمةً. نسألُ اللهَ أن يسعدَك في الدُّنيا والآخرَة.

ولقد هيَّـجْتَ مكامنَ الشِّعر في نَفـسي لتأتيَ لقَصيدة (دمعـة يراع) أختٌ صُغرَى، هيَ (بسمة يراع). أتشرَّفُ بإهدَائها لكُم شَخصيّا، رَاجياً أن تجدَ أكـثرَ ممَّا وجـدَتْهُ أختُـها منكُم من إعـجَاب

واهتمَام.

ولكُم منِّي ومن هَيـئَـة الإدَارة والتَّـدريس بالمدرسَة خالصُ الشُّكر والتَّقدير.

«بسمة يراع»

يا ابنَ نَجـدٍ قـتلتَ قَلبَ الجَـنوبي
بكَـلام مُـضَـمَّـخٍ بالطُّيُـوبِ
ومَـلأتَ الفـؤادَ نحـوَك شَـوقـاً
فـهَـنيءُ المنَام أضـحَى سَليـبي
بِتُّ بـاللَّـيل أعـصـرُ فـكري
أيّ شِـعـرٍ أصُـوغـهُ لـلحَـبـيبِ

قُلتَ شِعـراً ولَم يكُن غيـرَ نَثـر
غـيـرَ أنِّي لمستُ رُوحَ الأَديب

صُغْتَ بالحَرف للمَحَبَّة لحْناً
فاقَ في الحُسْن رَوعةَ العَنْدَليب

قَد أتَاني البَريد مُضْنًى مُعَنّى
يشتكي حُرقةً وطولَ الدُّروب

سارَ في دَربه علَى الشَّهر عَشراً
بعدَ عَشر فجاءَني كالغَريب[1]

جاءَني أحْرُفًا تَبُوحُ بوَجْد
فتلاقَى لَهيبُها بلَهيبِي

أصْدقُ الحب ما أتَى دونَ قَصد
كانَ سِراً مُقدَّراً في الغُيوبِ

(١) يقصد أن الرسالة التي أرسلتها إليه تأخرت في البريد مدة طويلة، حيث وصلته في ١٢/ ٤/ ١٤١٧هـ.

والوِدَادُ الصُّــرَاحُ مــا كــانَ بَلْوَى
ليسَ تُـشْـفَـى بحكمَــة أو طَبَــيبِ

* * *

إيه يا ســيِّـدي شَـرَحـتَ صُـدوراً
لَم تَزلْ تشـتَـكي ازدحـامَ الكُروب

إيه يا ســيِّـدي مَـسَــحْتَ عُـيــوناً
أمـطرَتْ وارتـوَتْ بدَمـعٍ سَـكيـب

قَـد وقَـفْـنا بجَـمْـعنا فـي خُـشـوعٍ
فــأتيــتُـم بجُــودكم كَــالخَـطيب

فَطَـربْنا ومَـــا نَطَـقْتَ بحَـــرف
إذْ رأينَـا فـــعَـــالَ شَـــهـم أَريبِ

نحنُ يا وَالـدي اشـتكَينـا كَـثـيـراً
وصــرَخْنَا ومَــا لنَا من مُــجــيبِ

واحــتــرقْنَاَ لــمَّــا مَلَلْنا جَــواباً
فَــمَــزجْنـا صُــراخَنا بالنَّحــيب

كَم شكَـوْنا فُــصــولَنـا في عَــراء
دونَ سُــور يَصـدُّ سُــوءَ الخُطوب

تَرْتـعُ الضَّـــأنُ بينَـنا وشــيـــاهٌ
سـائمــاتٌ كَـأنَّهـا في الخَــصـيب

وازدحَـام الـفُـصـول داءٌ عُــضَـالٌ
يجـعلُ الدَّرسَ في مَـقامٍ عَـصـيب

مــا لنَا غــرفــةٌ لنَجلسَ فـيــهَــا
حــالُنا مُــؤسفٌ وجـدُّ عَــجــيب

قـد أتـانا مُـولَّدٌ فـاهْتَـمَـمْنا
يبـتَغي حُـجْـرةً ونَفْضَ (الجيُـوب)

* * *

أمَـلاً أشـرقَتْ شُـمـوسُكَ فـينَا
بَدَّدَتْ فَـجْـأةً ظلامَ الغـروبِ
وتَبـدَّى يَـراعُنا بـابتـهَـاجٍ
باسـماً يَـزدَهى بثَـوبٍ قَـشـيبِ
فَـيَـدُ الجُـود تجـعَلُ القَـحـطَ غـيـاً
تُنْبتُ العُـشـبَ في المكَان الجَـديب
وعظيمُ المَـعـروف مَـا ظَلَّ قَـيْـداً
كَـبَّـلَ الشُّكْرَ بـالسُّكُوت الـرَّهيب

فـأَصَـــاخَتْ وَسَـائلُ الـنُّطْق إلا
منْ حَـــديث يَـدُورُ بينَ القُـلوبِ

وإذَا المرءُ بـالسَّـــخَـــاء تَغَـطَّى
صَـدَّ عَنْ نَفْسـه سِـهـامَ العُـيـوب

فـــتَـــراه الـعُـيـــونُ في كُـلِّ فَجٍّ
مَلَكـاً قَـد مَـشَى بغَـــيـــر ذُنوبِ

عَـجَـبـاً أنْ تَرَى الكريمَ بَـعـيـداً
صـــارَ فـينَا بصُنْعـه كَـالقَـريب

ومُـحِـبـاً يعـيـشُ هَجْرَ مُـحَبٍّ
قـد تَسَلَّى عَن وَصْله بالـنَّسـيبِ

ألا مَا أجملَ الـشِّعرَ! ومَا أعذبَ التـخاطُبَ مَعَ المعلِّـمينَ المخلصينَ بُنَاةِ المـسـتـقـبَلِ، وأمَلِ

الأمَّة! ويا حَسْرَتَى حينَ لا نستجيبُ لحاجَات المدَارس الكَثيرة وطلَباتها المتعدِّدة؛ فكَم نحرصُ علَى تَوفير الجَوِّ التَّربويِّ، ولكنَّ النموَّ التعليميَّ المتزايدَ والاعتمَادات الماليةَ تحدُّ من الطُّموح، وتجعلُ المسؤولَ في مَوقف صَعب، فهَذه المدرسَةُ التي يتَحدَّثُ عنَها الشَّاعرُ بحاجَة إلى فُصول إضافيَّة وأسوَار وصَالات. ومَا أكثرَ المدَارس الَّتي تماثلُ هَذه المدرسةَ!

إنَّ المبانيَ المدرسيةَ أهمُّ مشكلَة، وأكبرُ معضلَة. ومَهمَا أنجزَتْ وزارةُ المعَارف من مشاريعَ فإنَّها تظلُّ أمامَ تحدٍّ كَبير. فقَد وصلَتْ المشاريعُ قبلَ حَرب الخَليج إلى دَرجة أنَّ وزارةَ

المعَارف صارَتْ تتسلَّمُ كلَّ يَوم مدرسةً، ولكنَّ النموَّ الطلابيَّ أكبرُ. ولا أَدري كيفَ ستكونُ الحالُ بعدَ عَشرِ سَنواتٍ؟! وكانَ اللهُ في عَونِ المسؤولينَ.

أحدث الإصدارات

الفهرس

م	الموضوعات	رقم الصفحة
...	المقدمة	٧
١	ما هي صلاحياتك	١٣
٢	التغريب	١٩
٣	جولات مدرسية	٣٩
٤	وفد نجران	٥١
٥	الأب الوجل	٥٧
٦	مأساة وموقف	٦٩
٧	استلم المفتاح	٧٩
٨	الحمار	٨٧
٩	أمير القرية	٩٣

م	الموضوعات	رقم الصفحة
١٠	السيجارة	٩٩
١١	رحلة الشتاء والصيف	١٠٩
١٢	هفوة معلم	١١٧
١٣	قضية وحوار	١٢١
١٤	دمعة أب	١٣٣
١٥	مأساة طالب	١٣٩
١٦	هموم ومعاناة	١٦٣
١٧	رسالة إلى المعلم (م.م.ر)	١٧٩
١٨	ساكن الخيمة	١٨٥
١٩	المراجع الأحمق	١٩٥
٢٠	مع المعلم الشاعر	٢٠٣

هذا الكتاب يحكي صوراً من الميدان التربوي حدثت، ويروي مشاهد من معاناة المسؤول وقعت، ويعرض لعدد من المواقف الاجتماعية والتعليمية.

إن الكتاب يعكس خبرة رصدها المؤلف أثناء عمله الرسمي في وزارة المعارف، ودوَّن ما هو جدير بالتسجيل، وقيّد ما هو حريٌّ بالتدوين، وجاءت ليقرأها المتأخر، فكما قيل: تجاربُ المتقدمين مَرَايا للمتأخرين كما يُبصَر فيها ما كان يُتَبصَّرُ بها فيما سيكون.

وقد جاء الكتاب في مجموعة أجزاء، هذا هو الجزء الثاني الذي اشتمل على عشرين موقفاً، مختلفة في مواضيعها، متنوعة في تواريخها، يربط بينها الحس التربوي، والقلم التعليمي.

المؤلف في سطور

* د. عبد العزيز بن عبدالرحمن الثنيان
* من مواليد مدينة الرياض عام ١٣٦٩هـ.
* حصل على درجة الدكتوراه في الأدب العربي عام ١٤٠١هـ من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية – الرياض.
* عمل معلماً لمدة عامين.
* انتقل الى جهاز وزارة المعارف، وعمل في الإدارة العامة للأبحاث والمناهج.
* عمل مديراً عاماً للتعليم بمنطقة الرياض، ولمدة عشر سنوات.
* عمل وكيلاً لوزارة المعارف، ولمدة سبع سنوات حتى تقاعده المبكر عام ١٤١٩هـ.
* شارك في العديد من الندوات والمؤتمرات واللجان، وله بعض المحاضرات والأبحاث في مجالات التربية والتعليم.
* من مؤلفاته التي صدرت:
  * الوحدة الإسلامية في الشعر العربي الحديث.
  * عمرو بن معديكرب الزبيدي (حياته وشعره).
  * بوح الذاكرة (الجزء الأول).
  * بطولة ملك (اثني عشر جزءاً).
  * بوح الذاكرة (الجزء الثاني).
* مؤلفات تحت الطبع:
  * إنسانية ملك (ثلاثة أجزاء).
  * بوح الذاكرة (الجزء الثالث).

ردمك: ٨ - ٥٠٨ - ٢٠ - ٩٩٦٠ (مجموعة)
× - ٥٠٧ - ٢٠ - ٩٩٦٠ (ج١)